

الجمهورية الجزائرية الديمقراطية الشعبية  
République Algérienne Démocratique et Populaire  
وزارة التعليم العالي والبحث العلمي  
Ministère de l'Enseignement Supérieur et de la Recherche Scientifique



## المركز الجامعي لميلة

المرجع: .....

معهد الآداب واللغات

قسم اللغة والأدب العربي

# البيئة الجاهلية في شعر امرئ القيس

- ديوان امرئ القيس انموذجا -

مذكرة مقدمة لنيل شهادة الليسانس في اللغة والأدب العربي

تخصص: أدب عربي

إشراف الأستاذ:

قوايري عمار.

إعداد الطالبتين:

☆ - بورافة نصيرة.

☆ - نويشي نجاة.

السنة الجامعية: 2013/2014

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

# شكر و عرفان

الحمد لله و الشكر أن شرح لنا صدرنا و هدانا إلى  
دراسة القران

و أصبغ علينا نعمته من أجل إتمام هذا العمل

وهو الوالي على ذلك و القادر عليه

كما نتوجه بالشكر و التقدير و العرفان الى الأستاذ  
الموقر "قرايري عمار"

التي تفضل بالإشراف على مذكرتنا

كما نتقدم بالشكر الجزيل إلى كل من ساعدنا من

قريب أو من بعيد ولو بكلمة واحدة فجزاهم الله

## الإهداء

إلى أحب مخلوق ي على الأرض، إلى منبع الحنان و الحب و العطف،

صاحبة القلب الطيب و الصبر الحنون " أمي " الغالية

إلى قدوتي و نور دربي في الحياة إلى الذي أتعب نفسه

ليريحني و حرم نفسه ليكفيني، إلى من أعت به " أبي " الغالي

ستبقى كلماتك نجوم اهتدي بها طوال حياتي.

حفظكما الله و أطال في عمركما

إلى إخوتي الأعزاء الذين أعتبرهم أجزاء من روحي و قلبي كل بإسمه

إلى خطيبي " خالد " الذي أثار دروب حياتي و ساندني في مشواري هذا

حتى النهاية.

و لا أنسى في الأخير أفراد العائلة سواء من قريب أو من بعيد.

نصيرة

مفصلة

## مقدمة:

منذ أن فتح طه حسين باب الدراسة و البحث في الشعر الجاهلي، لم تتوقف عقول وأقلام النقاد و الدارسين عن الخوض في هذا الموروث الفني الجميل، فقد مثل هذا الاخير مادة دسمة تناولها هؤلاء الدارسون من شتى الجوانب ، بنيته الفنية، مضامينه المختلفة، منابعه الفطرية...إلخ، ولما كان الإنسان ابن بيئته فإن الشاعر الجاهلي استلهم من بيئته موضوعات شعره و ماضيه، ومن هنا كان موضوع هذه الدراسة ينطوي تحت هذا الجانب من خلال دراست أثر البيئة الجاهلية في شعر امرئ القيس.

إن هذا الموضوع يكتسي أهمية لاسيما من الناحية التطبيقية ، وهذا كونه يحاور نصوصا شعرية لامرئ القيس يتجلى ويبرز من ثناياها عناصر هذه البيئة و حضورها في شعره ، وهذا هو هدف بحثنا في هذه الدراسة.

ومن هنا يمكن أن نعبر عن مشكلة بحثنا بالسؤال الاتي : كيف تجلت البيئة الجاهلية في شعر امرئ القيس وماهي عناصرها؟

لقد دفعنا لدراسة الموضوع رغبة ذاتية تتمثل في اهتمامنا بالتواصل مع التراث الشعري العربي، و إحساسنا بالقيمة الكبرى له.

كما أنه لايمكن ان نعتبرهذا البحث أصيلا بدرجة كبيرة ، فقد تناولت جوانبه دراسات سابقة كثيرة لعل طه حسين ابرزها مع عفيف عبد الرحمان في دراسته الموسومة " الشعر و أيام العرب في العصر الجاهلي" وحصاد قرن أيضا في كتابه: " الشعر الجاهلي"، وهي دراسات ساعدتنا لاسيما في وضع خطة البحث و استخراج و اكتشاف المصادر و المراجع المتعلقة بالبحث ، و مواقف بعض النقاد و الباحثين من القضايا المتعلقة بموضوع بحثنا.

أما الصعوبات التي إعترضت طريقنا في إعداد هذا البحث و إخراج هذه الدراسة صعوبات بسيطة تمثلت أساسا في عدم تعودنا على مثل هذه الدراسات إضافة إلى صعوبة تحديد المباحث و المطالب و هذا نظرا للمساحة الكبيرة من القضايا التي يتطلبها الموضوع.

و إذا كان البحث يقتضي تنظيما و تخطيطا و منهاجا يجب السير عليه بغية الوصول لنتائج دقيقة، فإننا اعتمدنا المنهج الإجتماعي في هذه الدراسة الذي من سماته و خصائصه الربط بين الأدب و عناصر بيئته و تجليات هذه العلاقة في آثاره الشعرية و الفنية.

اما الخطة البحث فجاءت فصولها وة مباحثها على النحو التالي :

- \_ مدخل: و هو حديث عن السيرة الذاتية لمرئ القيس ورصد لخباره وشعره.
- \_ الفصل الاول: وجاء في طبيعته نظريا، تمرلتعرض فيه للشعر الجاهلي بصفة عامة، وذلك بتحديد فترته الزمانية وظروف نشاته واغراضه وخصائصه، كما تضمن ايضا حديثا عن بيئته من حيث جغرافيتها و خصائصها.
- \_ الفصل الثاني: وهو جوهر البحث كونه تطبيق لما ورد في الشق النظري مع تفصيل اكثر دقة، فتناولنا فيه البيئة الطبيعية بكل مظاهرها، والبيئة الاجتماعية والسياسية.

وفي الاخير جزيل الشكر منا موصول لكل من ساهم معنا في اعداد هذا البحث، وفي مقدمة هؤلاء نجدد تحيتنا و شكرنا و عرفاننا الى استاذنا الفاضل عمار قريري على ارشاداته القيمة، وسهره على إخراج هذا البحث في افضل صورة وابهى حلة.

محافظة

## أ. أصله وحياته:

هو جندح بن حجر الكندي الملقب بامرئ القيس يقال له "الملك الضليل" و"ذو القروح" وامرئ القيس معناه رجل الشدة لُقّب به لما لقي من الشدائد، ولد بنجد نحو سنة خمسمئة (500) ميلادي من أصل يماني، وكان أبوه ملكاً على بني أسد وغطفان، وأمه فاطمة بنت ربيعة أخت كليب والمهلهل التغلبيين، فنشأ نشأة ترف ومجون ونظم الشعر الإباضي، فردعه أبوه فلم يرتدع فطرده من بيته فراح يجوب الآفاق في عصابة من الذويان والشذاذ إلى أن ثار بنو أسد بأبيه حجر فقتلوه، فهبّ امرئ القيس يحاول دعم ذلك العرش المنهار؛ عرش كندة واسترجاع جانب من ميراثه الضائع ومحاولة الثأر لدم أبيه المقتول غدرًا. فقال امرئ القيس عندما وصله خبر مقتل أبيه

تطاول الليل علينا، دَمُون دَمُون! إنا معشرٌ يَمَانُون  
وإننا لأهلنا مُحِبُّون<sup>1</sup>

ثم قال: ضيِّعني أبي صغيراً وحمّلي دمه كبيراً. لا صحو اليوم ولا سكر غداً  
اليوم خمر وغداً أمر. اليوم قحاف، وغداً نقاف.

ثم شرب سبعا. فلما صحا آلى أن لا يأكل لحمًا، ولا يشرب خمرًا، ولا يدهن  
بدهن، ولا يلهو بلهو، ولا يغسل رأسه من جنابة، حتى يدرك بثأر أبيه فيقتل من بني  
آله مائة ويجزّ نواصي مائة، وفي ذلك يقول: أَرِفْتُ وَلَمْ يَأْرَقْ لِمَا بِي نَافِعٌ ... وَهَاجَ  
لي الشوقَ الهموم الرّوادع.<sup>2</sup>

<sup>1</sup> امرئ القيس، ديوان امرئ القيس، دار صادر، لبنان، ط3، 2007، ص 12.

<sup>2</sup> سليم الجندي، عهدة الأديب امرئ القيس، مكتب النشر العربي، دمشق، دط، دت، ص 04.

## تأهبه للأخذ بالثأر:

ثم أخذ يُعدُّ العدد ويجهز الأسلحة لمحاربة بني أسد واستتجد بالقبائل ولاسيما أخواله بكر وتغلب، ثم سار إلى بني أسد فأوقع به وقتل منهم خلقا كثيرا فطلبوا أن يقدوه بمئة من وجوههم وعندما أبى ذلك تخاذلت عنه بكر وتغلب، وطلبه المنذر الثالث ملك الحيرة لموجدة كانت في نفسه على قوم كندة. ففر امرئ القيس وسار في القبائل يطلب النجدة في غير جدوى ولذلك سمي بالملك الضليل. وأخيرا قرَّ رأيه على أن يتوجه إلى تيماء فيطلب من السموأل كتابا إلى الحارث بن شمر الغساني على أن يتوسط لدى قيصر الروم بالقسطنطينية فيكون له منجداً ويوعز إلى حلفائه من القبائل العرب أن يمدُّوه بالرجال.<sup>3</sup>

توجه امرئ القيس إلى السموأل واستودعه دروعاً كان يتوارثها ملوك كندة ثم غادر تيماء وشخص إلى القسطنطينية يريد القيصر "يوستينيانوس". ورافقه في مسيرته الشاقة عمرو بن قميئة أحد بني قيس بن ثعلبة، وكان من خدم أبيه وقد نُقلت عليه المسيرة فشكى وبكى وقال لامرئ القيس: «غَرَّرت بنا»<sup>4</sup> فأجاب الشاعر بقصيدة شجع فيها صاحبه ووصف أحوال تلك الرحلة، ولما انتهى إلى القيصر أكرم وفادته ووعدته بالمدد ولكن الآمال لم تتحقق ففقل امرئ القيس يائساً.

<sup>3</sup> أحمد حسن الزيات، في أصول الأدب، محاضرات ومقالات في الأدب العربي، دار النهضة، مصر، 3، 1905م، ص 48.

<sup>4</sup> ينظر: امرئ القيس، ديوان امرئ القيس، ص 15.

## موته بالجدري

وقد ذكر نونوز المؤرخ أن يوستينيانوس قلّده إمرة فلسطين إلا أنه لم يسع في إصلاح أمره وإعادة ملكه، فضجر امرؤ القيس، وعاد إلى بلده وكانت وفاته نحو سنة 565م بعد إصابته بمرض كالجدرى في طريقه كان سبب موته.

### أسطورة الحلة المسمومة وموته:

ثم إن امرئ القيس مضى حتى انتهى إلى القيصر فأكرمه. فاندسّ رجل من بني أسد يقال له الطّماح، وكان امرؤ القيس قتل أخوا له من بني أسد، حتى أتى بلاد الروم فأقام مستخفياً، ثم إن القيصر منحه جيشاً كثيفاً وفيهم جماعة من أبناء الملوك. فلما فصل قال لقيصر، قوم من أصحابه: إن العرب قوم غدر لا نأمن أن يظفر هذا بما يريد ثم يغزوك بمن بعثت معه.

وقال ابن الكلبي: بل قال له الطماح: إن امرئ القيس غويٌّ فاجر وإنه كان يرسل ابنتك وهو قائل في ذلك أشعاراً يشهرها بها في العرب فيفضحها ويفضحك فبعث إليه حينئذ بحلة وشي مسمومة منسوجة بالذهب وقال له: إنني أرسلت إليك بحلتي التي كنت ألبسها تكرمة لك فإذا وصلت إليك فالبسها باليمن والبركة. فلما وصلت إليه اشتد سروره بها، ولبسها في يوم صائف فتناثر لحمه، ونفطر جسده وكان يحمله جابر بن حنين التغلبي فلذلك سمّي بذا القروح وقال في ذلك قصيدة مطلعها:<sup>5</sup>

تَأْوَبَنِي دَائِي الْقَدِيمَ فَعَلَّسَا ... أَحَاذِرُ أَنْ يَرْتَدَّ دَائِي فَأُنْكَسَا

<sup>5</sup> عبد الرحمن المصطاوي، شرح لديوان امرئ القيس، دار المعرفة، بيروت، ط2، 2004، ص 10.

قال: فلما صار إلى بلدة من بلاد الروم تدعى أنقرة احتضر بها فقال:

رب طعنة مُثَعْنِجِرَة ... وجفنة، متحيرة  
وقصيدة متخيرة ... تَبَقَى غداً في أنقرة

ورأى قبر امرأة من أبناء الملوك ماتت هناك فدفنت في سفح جبل يقال له  
عسيب، فسأل عنها فأخبر بقصتها فقال<sup>6</sup>:

أجارتنا إن المزار قريب ... واني مقيم ما أقام عسيبُ  
أجارتنا إن غريبان ههنا ... وكل غريب للغريب نسيبُ

ثم مات فدفن إلى جنب المرأة فقبره هناك.

وذكر في كتاب قديم مخطوط أن ملك القسطنطينية لما بلغه وفاة امرئ القيس  
أمر بأن ينحت له تمثال وينصب على ضريحه، ففعلوا وكان تمثال امرئ القيس  
هناك إلى أيام المأمون. وقد شاهده هذا الخليفة عند مروره هناك لما دخل بلاد الروم  
ليغزو الصائفة.

### منزلته:

هو من شعراء الطبقة الأولى في العصر الجاهلي، وهم زهير بن أبي سلمى،  
والنابغة الذبياني، والأعشى ميمون، وامرؤ القيس، ثم اختلفوا في تقديم أحدهم على  
طبقتهم وفضل كثير من الأدباء شاعرنا أكثر من الذين فضلوا سواه.

ومن هؤلاء الأدباء ابن رشيق القيرواني الذي يقول، لكل واحد منهم طائفة  
تفضله وتتعصب له، وقلما يجتمع على واحد إلا ما روي عن النبي صلى الله عليه  
وسلم في امرؤ القيس: «أنه أشعر الشعراء وقائدهم إلى النار»<sup>7</sup>

<sup>6</sup> امرئ القيس، ديوان امرئ القيس، ص26.

ويروى أن علياً كرم الله وجهه فضله على شعراء الجاهلية «لأنه لم يقل  
لرغبة، ولا لرهبة» وأيضاً عمر بن الخطاب رضي الله عنه والفرزدق، وابن سلام  
الجمحي صاحب كتاب طبقات «فحول الشعراء» كلهم شهدوا له بالسبق.

---

<sup>7</sup> عبد الرحمان المصطاوي، شرح لديوان امرئ القيس، ص 11.

# الفصل الاول: مدخل الى الشعر الجاهلي.

I / الشعر الجاهلي.

اولا: فترة الجاهلية.

ثانيا: نشأة الشعر الجاهلي.

ثالثا: خصائص واغراض الشعر الجاهلي.

II / البيئة الجاهلية.

اولا: التحديد الجغرافي.

ثانيا: الخصائص الجغرافية للبيئة الجاهلية.

III / علاقة الشاعر بالبيئة.

IV / مكانة الشعر والشعراء في المجتمع.

## شعر امرئ القيس

«امرؤ القيس من فحول شعراء الجاهلية، يعدّ من المقدمين بين ذوي الطبقة الأولى، وفي شعره رقة اللفظ وجودة السبك وبلاغة المعاني، حيث أنه منذ صغره كانت في أعماقه شاعرية فياضة.

لقد عاش امرؤ القيس بين فترتين مختلفتين، صنعت كل واحدة منها شاعرا متميزا، فقبل مقتل والده كان ذلك الشاعر اللاهني العابث الذي انطلق مع المتع والشراب والغزل دون حدود أو ضوابط، لكن بعد موت والده قلب حياته رأسا على عقب، فصنع منه شاعر العزم والبأس والثبات والصبر على الشدائد.»<sup>1</sup>

قيل سأل العباس بن عبد المطلب عمر بن الخطاب عن الشعراء وأميرهم، فقال: «امرؤ القيس سابقهم خسف لهم عين الشعر فافتقر عن معان عور أصحّ بصر.»<sup>2</sup>

وفضله الامام علي بأن قال: «رأيت امرؤ القيس أحسن الشعراء نادرة وأسبقهم بادرة وإنه لم يقل لرغبة ولا لرهبة»

وامرؤ القيس لم يسبق الشعراء لأنه قال ما لم يقولوا، ولكنه سبق إلى أشياء فاستحسنها الشعراء واتبعوه فيها، لأنه أول من لطف المعاني ومن استوقف على الطول والالتفات إلى الأحباب والتفنن في الأوصاف.<sup>3</sup>

يعتبر امرئ القيس رائد الوصف النقلي المادي في الأدب العربي، ومرجع براعته إلى دقة نقله، وإلى تلك الوجدانية التي تطل من وراء المادة إطلالة صدق وسذاجة وعذوية، ولئن

<sup>1</sup> ينظر: حنا الفاخوري، الجامع في تاريخ الأدب العربي، دار الجيل، لبنان، 2005م، ص 183.

<sup>2</sup> ينظر: حنا الفاخوري، الجامع في تاريخ الأدب العربي، ص 183.

<sup>3</sup> امرئ القيس، ديوان امرئ القيس، ص 42.

رفعه النقاد الأقدمون، ورفعوه إلى أعلى المراتب، حيث قال ابن سلام: «أنه سبق العرب إلى أشياء ابتدعها»<sup>1</sup>

وأشهر ما في ديوان امرئ القيس المعلقة وهي قصيدة طويلة كانت لها شهرة واسعة، وسارت في الناس مسيرة المثل حتى قيل: «أشهر من قفا نبيك»

فقصيدة امرئ القيس تخلص من البناء الشامل، فالموضوعات شتى، والهدف في كل قسم منها غير واحد، ومن ثم فليس هنالك وحدة تأليفية تعبر عن وحدة المعاناة، وقصيدته شديدة الصلة بحياته، وسر الجمال فيها هو الخيال الذي يصور ويلون، ويجسم ويحيي.

ومما لاشك فيه أن امرئ القيس حلقة من سلسلة طويلة سبقته، وقد تدرج معها الشعر العربي حتى وصل إلى الكمال النسبي الذي عرفه في الجاهلية الثانية، جاهلية المملكات.

### نماذج من شعره

من خير ما أثر عنه ملعقته التي سارت في الناس مسير المثل، نظمها في حادثة وقعت له مع ابنة عمه عنيزة، ثم استطرد إلى وصف الليل ونعت الفرس وذكر المجون والصيد، قال في مطلعها:

قفا نبيك من ذكرى حبيبٍ ومنزل ... بسقط اللوى بين الدخول فحومل<sup>2</sup>

وقد مر شيء منها في النماذج، ومنها الغزل:

أفاطم مهلاً بعض هذا التدلل ... وإن كنت قد أزمعت صرّمي فأجملي

أغرّك مني أن حبك قاتلي ... وأنتك مهما تأمري القلب يفعل

<sup>1</sup> ينظر: حنا الفاخوري، الجامع في تاريخ الأدب العربي، ص 184 - 187.

<sup>2</sup> تاريخ الأدب العربي، ص 68.

وَإِنْ تَكُ قَدْ سَاءَتْكَ مِنِّي خَلِيقَةٌ ... فَسَلِّي ثِيَابِي مِنْ ثِيَابِكِ تَنْسُلِ  
 وَمَا ذَرَفَتْ عَيْنَاكَ إِلَّا لِتَضْرِبِي ... بِسَهْمَيْكَ فِي أَعْشَارِ قَلْبٍ مُقْتَلِ  
 تَسَلَّتْ عَمَائِتُ الرِّجَالِ عَنِ الصَّبَا ... وَلَيْسَ فَوَادِي عَنْ هَوَاكِ بِمُنْسَلِ  
 وقال في قصيدة يذكر فيها رحلته مع عمرو بن قميئة إلى قيصر:

وَكَرَّتْ بِهِ الْعَيْنَانِ بُدَّتْ أَخْرَا	إِذَا قُلْتُ هَذَا صَاحِبٌ قَدْ رَضِيئُهُ
عَلَى خَمَلِي خَوْصُ الرِّكَابِ وَأَوْجِرَا	تَذَكَّرْتُ أَهْلِي الصَّالِحِينَ وَقَدْ أَتَتْ
نَظَرْتُ فَلَمْ تَنْظُرْ بِعَيْنَيْكَ مَنْظِرَا	فَلَمَّا بَدَتْ حَوَازُنُ فِي الْإِلِ دُونَهَا
عَشِيَّةَ جَاوَزْنَا حَمَاءً وَشَيْرَا	تَقَطَّعَ أَسْبَابُ اللَّبَانَةِ وَالْهَوَى
وَأَيْقَنَ أَنَا لِأَحْقَانِ بِقَصِيـرَا	بَكَى صَاحِبِي لَمَّا رَأَى الدَّرْبَ دُونَهُ
نَحَاوِلُ مُكَاً أَوْ نُمُوتَ فَنُعَدَّرَا	فَقُلْتُ لَهُ: لَا تَبْكُ عَيْنُكَ إِنَّمَا

### أولاً: فترة الجاهلية

«العصر الجاهلي بعيد في الزمان، يشمل أطوار شبه الجزيرة العربية القديمة قبل الميلاد وبعده، وقد يتبادر إلى ذهننا أن لفظة الجاهلية تعني الجهل، إلا أننا إذا نظرنا إلى حياة العرب ككل، ادركنا سريعاً أن هذا اللفظ غير ما نريد ولاسيما أن عرب الجنوب كانت لهم حضارة راقية كما ذكرنا، والمعنى الثاني لهذه اللفظة قد يأتي على سبيل الدلالة على الغباء أو قلة الذكاء، والعربي كان بطبعه ذكياً، بعيداً جداً عن الغباء. بيد أن هذه اللفظة وردت عند الجاهليين، قال عمرو بن كلثوم:

أَلَا لَا يَجْهَلُنَّ أَحَدٌ عَلَيْنَا... فَجْهَلٌ فَوْقَ جَهْلِ الْجَاهِلِينَا»<sup>1</sup>

<sup>1</sup> دزيريه سقال: العريفي العصر الجاهلي، دار الصداقة العربية، بيروت، ط1، 1995، ص 68.

«ومن هنا الواضح هنا أن لفظة الجاهليين تعني الطيش والسفه من جهة، وهي من جهة أخرى تعني الجهل الذي يناقض معناه الحلم، لا الجهل الذي يناقض العلم.»<sup>1</sup>

إلا أننا إذا ربطنا هذه اللفظة بالمعنى الديني أدركنا أبعادها، فالإسلام كان تأسيساً بداية هي أم البدايات، بل إنه النهاية التي صارت بداية: نهاية عصر وفتحة عصر، من هنا «فنحن نعرف الجاهلية بالإسلام»<sup>2</sup>

«وانطلاقاً من هذا المفهوم يمكن أن نقول إن العصر السابق لظهور الإسلام قد سمي جاهلية لأنه جهل هذا الدين، فعكف أبناؤه على عبادة الأصنام والأوثان، واتصفوا بالغضب والطيش والنزق والسفه.»<sup>3</sup>

فهذه اللفظة مدلول ديني قبل كل شيء، وقد اتخذت هذا المدلول انطلاقاً من القرآن الكريم: ورد في سورة البقرة: { قَالُوا اتَّخَذْنَا هُزُوراً قَالِ أَعُوذُ بِاللَّهِ أَنْ أَكُونَ مِنَ الْجَاهِلِينَ }<sup>4</sup> فالجهل هنا جهل ديني وورد في سورة الأعراف: { خُذِ الْعَفْوَ وَأْمُرْ بِالْعُرْفِ وَأَعْرِضْ عَنِ الْجَاهِلِينَ }<sup>5</sup> والجهل هنا يدل على السفه والغضب والطيش، وقد قال النبي لأبي ذر معتبراً إياه: «إنك امرؤ فيه جاهلية»<sup>6</sup>

والباحثون في الأدب العربي يقفون بأبحاثهم الشعرية في الحقبة الممتدة بين مئة وخمسين ومئتي عام على الأكثر قبل الإسلام، قال الجاحظ: «وأما الشعر فحديث الميلاد، صغير السن أول من نهج سبيله وسلك الطريق إليه امرؤ القيس بن حجر ومهل بن ربيعة... فإذا استظهر نابغية الاستظهار فمئتي عام»

<sup>1</sup> عمر فروخ، تاريخ الأدب العربي، دار العلم للملايين، بيروت، 1981، ج1، ص73.

<sup>2</sup> ادونيس، الثابت والمتحول، دار العودة، ط1، 1974، ج1، ص35.

وقد وردت لفظة الجاهلية أربع مرات في القرآن الكريم، في سورة المائدة، والأحزاب، والفتح، وآل عمران.

<sup>3</sup> شوقي ضيف، العصر الجاهلي، دار المعارف، ط1، دت، ص39.

<sup>4</sup> البقرة 67.

<sup>5</sup> الأعراف 199.

<sup>6</sup>

وانطلاقاً من هذا، يمكن أن نقسم العصر الجاهلي إلى قسمين:

1. **جاهلية بعيدة:** وهي التي عاشت فيها الأمم البائدة بخاصة، وعرب الجنوب خلال مرحلة ازدهارهم الحضاري.
2. **جاهلية قريبة:** وهي التي ذكرها الجاحظ.

### نشأة العصر الجاهلي

«أول عصر ظهر فيه الشعر مستعملاً في القصائد والمطولات هو عصر المهلهل التغلبي بن أبي وائل، وهذا رأي بعض من كتب عن تاريخ الشعر العربي، ولكننا نستنتج من حالة شعر المهلهل نفسه المعتبر رأس الشعراء النظاميين، أن روح الحماس وحسن الأسلوب والصياغة في شعره دليل على أنه كان يسير في طريق مسلوكة من قبل وإلا لكان شعره غير ما نراه وليداً ناشئاً.

ولا يبعد أن يكون هناك شعراء قد نظموا الشعر، وقصدوه، وكان له عندهم من المكانة والاهتمام ما كان له عند المعروف لنا من الشعراء، غير أن ظلمة ذلك العصر الذي ظهروا فيه حالة دون وصول شيء من أخبارهم وأشعارهم إلى الرواة، ويذكر لنا أصحاب الرواية في الشعر أسماء بعض الشعراء السابقين المهلهل التغلبي، ويؤكد هؤلاء الرواة أن أولئك الشعراء قالوا الشعر ونبغوا فيه، غير أن شعرهم كان أقرب إلى المقطوع منه إلى المطولات فمن هؤلاء الشعراء أعصر ابن سعد بن قيس عيلان.

ويشهد امرؤ القيس أن هناك شعراً قبل شعر خاله المهلهل فيه من المعاني والخيال ما في شعر المتقدمين.<sup>1</sup>

<sup>1</sup> ينظر، محمود قراعة، أدب العرب في الشعر الجاهلي، د. ط. دت، ص 45-46.

«فالشعر الجاهلي لا يعقل أن يكون قد بدأ كما وصل إلينا في هذه القصائد الطويلة المهذبة التي يظهر فيها أثر الفن والجمال، بل لابد أن يكون قد قطع مراحل كثيرة من خلال الأجيال، حتى وصل إلينا على هذه الصورة الفنية الكاملة.

وليس من المعقول أن يكون امرؤ القيس أو المهلهل هو أول من ابتكر الشعر ونظمه وقلده فيه الشعراء، أليس هو الذي يقول:

عوجا على الطلل المحيل لعلنا  
نبكي الديار كما بكى ابن خدام  
وابن خدام هو شاعر جاهلي قديم، قبل امرؤ القيس طبعاً، ولا نعرف عنه ولا من أخباره شيئاً.

إننا لا نعرف شيئاً عن نشأة الشعر، ومن غير شك أنه سار في مراحل كثيرة حتى صار فناً مستقبلاً مقصوداً وانفصل عن الغناء، ثم أولاه الشعراء عناية فنية كبيرة، وقال في أغراض الحياة الجديدة التي لم يقولوا فيها من قبل.<sup>1</sup>

عرف العصر الجاهلي حركة شعرية ناشطة، فقد «كان الشعر فطرياً في العرب، يندر فيهم من لا يستطيعه، حتى المجانين واللصوص، ناهيك بالنساء»<sup>2</sup> وكان للشاعر الجاهلي مكانة مهمة ومرموقة، لأن العرب حرّضوا أبناءهم على إتقان الشعر ونظمه، فالشعراء كانوا عندهم «حماة الأعراض، وحفظة الآثار ونقلة الأخبار، وربما فضلوا بنوع الشاعر فيهم فهناً تهابه، وصنعت الأطمعة، واجتمعت يلعبن بالمزامر كما يصنعن في الأعراس، ويتباشرن

<sup>1</sup> محمد عبد المنعم خفاجي، الحياة الأدبية في العصر الجاهلي، دار الجيل، بيروت، ط1، 1992، ص 209.

<sup>2</sup> جرجي زيدان، تاريخ التمدن الاسلامي، تقديم حسين مؤنس، دار الهلال، دت، ج2، ص 31.

الرجال والولدان لاعتقادهم أنه حماية لأعراضهم وذبّ عن احسابهم وتخليد لمآثرهم، وإشادة لذكورهم.<sup>1</sup>»

«ويبدو أن الشاعر كان من أرقى طبقات الجاهلين، ومن أكرم الناس على قومه، لأن موقف الشاعر في قبيلته كان التغني بمناقبها، ورتاء موتاها، وهجاء أعدائها.<sup>2</sup>»

أولاً: الخصائص المعنوية للشعر الجاهلي

أ. **الصدق:** «الصدق في الشعر أن يعبر الشاعر، عما يشعر به حقيقة مما يختلج في نفسه، وألا يتكلف في ايراده، بقطع النظر عما إذا كانت الحوادث التي يذكرها قد وقعت أو لم تقع أو كان مبالغاً فيها.<sup>3</sup>»

ب. **النزعة الوجدانية:** فالشعر الجاهلي وجداني من الدرجة الأولى، يصف نفس قائله وشعوره، حتى إن الشاعر القديم كان إذا عرض لبحث موضوعي واقعي كوصف الصيد والحرب أو كالحكمة والرتاء، لونه بشعوره هو فانقلب الموضوع الواقعي في شعره موضوعاً وجدانياً، فالأدب في الحقيقة هو الانتاج الوجداني المطبوع، ووصف ابن قتيبة الشاعر المطبوع فقال فيه هو: «من سمع بالشعر واقتدر على القوافي، وأراك في صدر بيته عجزه، وفي فاتحته خاتمته، وتبينت على شعره رونق الطبع ووشي الغريزة وإذا امتحن بإنشاد شعره لم يتلثم ولم يتزحّر»

ت. **البساطة:** إن الحياة الفطرية والبدوية تقوم في الزمن عوامل تتضافر على جعل الشخصية الانسانية ساذجة بسيطة، كذلك كانت البيئة الجاهلية، وكذلك كان أثرها في الشعر الجاهلي. جرى الشاعر الجاهلي على طبعه وسجيته، فلم يتكلف القول في ما لم يشعر به، ولا تكلف الاحاطة والشمول ولا التخريج والتعليل ولا التعقيد.

<sup>1</sup> المرجع نفسه، ج2، ص 30-31.

<sup>2</sup> دزيريه سقال، في العصر الجاهلي، ص 133.

<sup>3</sup> د. محمد عبد المنعم خفاجي، الحياة الأدبية في العصر الجاهلي، ص 45.

ث. **القول الجامع:** كانت الصفة الغالبة على الشعر الجاهلي أنه شعر وجداني، من أجل ذلك كان معرضاً للآراء المفردة أكثر منه معالجة مستفيضة لشؤون الحياة، ولقد مال العرب عموماً والجاهليون خصوصاً إلى استجماع القول حتى كان البيت الواحد من الشعر يجمع معاني تامة، وحتى جعل الأقدمون يفتخرون بذلك، وقد أعجب النقاد بقول امرئ القيس:<sup>1</sup>

قفا نبك من ذكرى حبيبٍ ومنزل ... بسقط اللوى بين الدخول فحوملٍ

وقالوا: إنه وقف واستوقف وبكى واستبكى وذكر الحبيب والمنزل في بيت واحد.

ج. **الإطالة والاستطراد:** كان يحمى في الشعر الجاهلي أن يكون طويل النفس أي أن يطيل القصائد، وقد يخرج الشاعر أحياناً عن الموضوع الأساسي إلى موضوعات تتعلق به من قرب أو من بعد، وهذا يسمى الاستطراد.

ح. **الخيال:** إذا كان اتساع افق الصحراء قد أدى إلى اتساع خيال الشاعر الجاهلي فإن هذا الشاعر الجاهلي كان فطرياً بسيطاً كبيئته، ولعلك لا تستغرب إذا علمت أن الشعراء الذين اتصلوا بالحضر كالأعشى وامرئ القيس والنابغة كانوا في خيالهم أوسع وأعمق وادق كما ترى في معلقة امرئ القيس عند الكلام على البرق والمطر والسيول والخيال في الجاهلية كان يعتمد على التشبيه والاستعارات أكثر من اعتماده على انتزاع الصور من الطبيعة.

<sup>1</sup> عمر فروخ، تاريخ الأدب العربي، ص 76 - 78.

## ثانيا الخصائص اللفظية

## أ. غرابة الألفاظ وجزالتها:

إذا قرأنا بعض الشعر الجاهلي وقعنا في أكثره على "كلمات غريبة"، أي كلمات غير مألوفة في مخاطباتنا وكتاباتنا في عصرنا هذا، ويجب أن نشير إلى أن هذه الكلمات كانت "فصيحة" أي مأنوسة مألوفة، ذلك لأن ممارسة الجاهلي للحياة بين الخيام والإبل جعلت كل كلمة تتعلق بالخيام والإبل مألوفة عنده. ولكن لما نقطع ما بيننا وبين هذا النوع من الحياة انقطعت الصلة بيننا وبين الكلمات الدالة عليها وعلى أوجهها وأدواتها وآلاتها.

## ب. متانة التركيب وبلاغة الأداء:

التركيب في الشعر الجاهلي متين، أي صحيح يجري على قواعد اللغة العربية، لا ضعف فيه من تقديم لفظ في غير محله، أو تأخير لفظة إلى غير مكانها الذي تقتضيه أساليب العرب، أو زيادة حشو لا فائدة فيه أو حذف لغير سبب نحوي.

## ت. متانة التركيب وبلاغته:

بما أن الجاهلي كان يجري في شعره على سجيته وطبعه فإنه لم يتكلف عادة في ما كان ينظمه بل كان يلقيه إلى الناس كما يخطر له ويدور في خياله، ولكن كان هنالك نفر يأخذون شعرهم بالناية والتنقيح وقد سماهم رواة الأدب «عبيد الشعر» لأنهم يتكلفون اصلاحه بعد نظمه.<sup>1</sup>

وأراد الجاحظ تعليل ذلك فقال: «ومن شعراء العرب من كان يدع القصيدة تمكث عنده حولا كريتا وزمنا طويلا، يردّد فيها نظره، ويجيل فيها رأيه، اتهاما لعقله وتتبعها

<sup>1</sup> عمر فروخ، تاريخ الأدب العربي، دار العلم للملايين، بيروت، ط4، 1981، ج1، ص 79.

على عقله فيجعل عقله زماماً على رأيه، ورأيه عياراً على شعره اشفاقاً على أدبه  
واحراراً لما خوّله الله تعالى من نعمته.<sup>1</sup>

## أغراض الشعر الجاهلي:

### 1. الوصف:

« إن القول بتقديم الوصف لا يعني أنه كان منذ ظهوره غرضاً بارزاً، تخصص له قصائد مستقلة، أو يشغل حيزاً كبيراً من القصائد المطولة، وإنما كان يخالط الموضوعات الأخرى، ويتسرب بين تضاعيفها، ومما يقوي هذا الزعم أمورٌ منها قول ابن رشيق القيرواني: «أصل الوصف الكشف والاظهار، ويقال: قد وصف الثوب الجسم إذا تمّ عليه، ولم يستره.» وقال قدامة بن جعفر: «الوصف إنما هو ذكر الشيء بما هو فيه من الأحوال والهيئات»

ولما كان الشعراء يصوّرون ما حبّون، فيأتي تصويرهم بالمديح أشبه، ويصورون ما يكرهون، فيأتي تصويرهم إلى الهجاء أقرب، فقد سمي النقاد هذا الغرض مت أغراض الشعر (وصفاً) لا نعتاً، ليكون الاسم واسع الدلالة يندرج فيه جميل الموصوفات وقبيحها وحببيها وبغيضها.<sup>2</sup>

فالشاعر الجاهلي رقت مشاعره، فكان كتلة أعصاب تهتز لكل مشهد، وتتفاعل مع كلّ مظهر ومن ثم كانت انطباعاته واسعة النطاق، عميقة الأثر من الناحية الشعورية شديدة اللصوق بالواقع المحسوس، فقد عبّر عن كل ما سمع وما شاهد بشعر وصفي تناول فيه الطبيعة المصطنعة التي كيفتها يد الإنسان وأقامت منها قلاعاً وحصوناً وما إلى ذلك مما ينطق به الشعر الجاهلي في غلوه البدائي وحماسته الطفولية.

<sup>1</sup> عثمان بن عمرو بن الجاحظ، البيان والتبيين، نشره عبد السلام محمد هارون، القاهرة، د ط، 1950، ص 09.

<sup>2</sup> غازي طليعات، الأدب الجاهلي، قضاياها، أغراضه، أعلامه، فنونه، دار الإرشاد، ط1، 1992، ص 64.

فالشاعر الجاهلي وصف الأطلال، والليل، والصحراء، والفرس، والبنات والأرض.<sup>1</sup>  
ويصف امرؤ القيس الفرس في قوله:

له أبطلا ظبي وساقا نعامة  
وارخاء سرحانٍ وتقريبٌ تنفل<sup>2</sup>

## 2. الغزل:

النسيب أو التشبيب، وهو من أهم الأغراض وألصقها بالغريزة، وهو ذكر مفاتن المرأة والتغزل بها، فالجاهلي يصف حبيبته كما يصف ناقته أو فرسه ويحاول تصويرها بأسلوب التشبيه فينعتها بكل مستحب لديه.<sup>3</sup>

[...] وإذا كانت شعوب العالم التي عرفت الاستقرار قد ترجمت هذه الغريزة بصورة مرسومة على ألواح، وبتماثيل منحوتة من حجارة، وبمسرحيات يحاكي فيها الممثلون العشاق، وينقل فيها الخلف تجارب السلف، فإن العرب البداءة المرتحلين بين جنبات الصحراء جمعوا الفنون كلها في فن واحد وهو الشعر؛ بريشة رسموا المرأة، وعلى ايقاعه ارقصوها، ومن ألفاظه ومعانيه نحتوا تماثيلها التي لم تستطع الأنواء أن تتال منها. ومنه فقد فاق الغزل الأغراض الأخرى، ولأنه كما يقول الدكتور "شكري فيصل": «فإذا قلنا إن الغزل الجاهلي كان أصيلا في النفس العربية قبل الإسلام، وإن الأغراض الأخرى كانت في كثير من المواقف، وعند كثير من الشعراء تنبعث منه وتتحرك في إثارته...» وفاقها سعة ومقدارًا، لأن نصف الشعر الجاهلي غزل ونصفه الآخر وصف ومديح وهجاء. يقول الدكتور شكري فيصل: «إن الثروة الشعرية كالقطعة الذهبية ذات الوجهين، نقش الجاهليون على صفحتها الأولى

<sup>1</sup> حنا الفاخوري، الجامع في تاريخ الأدب العربي، دار الجيل، ص 141 - 143.

<sup>2</sup> أبطلا ظبي: خاصرتا غزال، ارخاء سرحان: عدو ذئب، التثقل: ولد الثعلب.

<sup>3</sup> ينظر، حنا الفاخوري، الجامع في تاريخ الأدب العربي القديم، ص 145 - 146.

عواطفهم التي ابتعتها الحب فيهم، وما يؤدي إليه هذا الحب ومن وصل وهجر... أمّا الصفحة الأخرى فقد جمعوا عليها كل أغراضهم الأخرى.<sup>1</sup>

لقد كانت الأطلال المدخل الذي يفضي منه الشاعر الجاهلي إلى الغزل لارتباطها بأحبته. ولمّا كان الطلل باب الغزل فقد طان الشاعر يحبيه، وهو في حقيقة الأمر لا يحيي إلا حبيبته. ألا ترى امرئ القيس كيف حيا ديار سلمى التي محت رسومها الأمطار:

ألا عمّ صَبَاحاً أَيَّهَا الطَّلُّ البَالِي  
وَهَل يَعْمَنُ مَنْ كَانَ فِي العُصْرِ الخَالِي<sup>2</sup>  
وَهَل يَعْمَنُ مَنْ كَانَ أَحَدْتُ عَهْدِهِ  
ثَلَاثِينَ شَهراً فِي ثَلَاثَةِ أَحْـوَالِ  
دِيَارٍ لَسَلَمَى عَافِيَاتُ بذي خَالِ  
أَلَحَّ عَلَيْهَا كُلُّ أُسْحَمَ هَطَّـالِ

### 3. الفخر:

الفخر في اللغة التمدح بالخصال والافتخار... والتفاخر والتعاضم... وهو نشر المناقب وذكر الكرام بالكرم.

والفخر في الاصطلاح النقدي غرض من أغراض الشعر ينطوي على زهو الشاعر واعتزازه بنفسه وقومه. وهو وليد الأثر والإعجاب بالذات. فالشاعر المتميز برفاهة الحس وفصاحة اللسان أقدر من سواه على التفاخر وأجدر به. قال ابن رشيق: «الافتخار هو المدح نفسه إلا أن الشاعر يخص به نفسه وقومه، وكل ما حسن في المدح حسن في الافتخار.»

إن بطبيعة المجتمع القبلي أثرها القوي في نزوع الشاعر الجاهلي إلى الفخر، ففي هذا المجتمع البدوي يقدر الناس الحمية والأنفة والعزة وقوة العضل والعصب. وإذا كان الغزل

<sup>1</sup> ينظر، غازي طليبات، الأدب الجاهلي قضاياها أغراضه أعلامه فنونه، ص 108-111.

<sup>2</sup> ذي خال: موضع، أسحم: سحاب أسود.

مرتبط بغريزة الجنس، فالفخر مرتبط بغريزة لا تقل عنها قوة وهي حب البقاء والصراع في سبيل الحفاظ على الحياة.<sup>1</sup>

لهذا نجد الفخر من أبرز أغراض الشعر الجاهلي، وأشدها تأثيراً في الأغراض الأخرى كالمدهم، ووصف الحرب والرتاء. وإذا كان صدق المشاعر مرهوناً بعمق التجربة التي يصورها فشعر الفخر والحماسة من أصدق الشعر العربي عاطفة لأنه من أعمقه تجربة، فقد كان مرد الفخر عند الجاهلي إلى العصبية والحياة الفطرية، أضف إلى ذلك أن حياة الجاهلي الخشنة وقد انعكست على نفسه قوة وصرامة وجلداً ولاسيما وأنها كانت حياة حافلة بالأخطار، وقد خلعت الصحراء بقوانينها الصارمة على العربي مجموعة من الصفات والفضائل النفسية ملأت صدره فانفجرت شعراً فخرياً وحماسياً، كان صدى طويلاً لما يجيش في النفوس، وأول ما تغنى به الشاعر الجاهلي في فخره الشجاعة<sup>2</sup>، ولها في حياتهم دواع قوية تلح عليهم إلحاحاً، وتملي عليهم نمط السلوك الذي تقتضيه طبيعة هذه الحياة. ولهذا كان العرب متحفزين للنزال دائماً فمتى استتفر الشاعر منهم للذود عن حوضه نفر وكان مستعداً للقتال، قال لبيد:

وَلَقَدْ حَمَيْتُ الْحَيَّ تَحْمِلُ شِكَّتِي      فُرْطٌ وَشَاحِي إِذْ عَدَوْتُ لِجَامِهَا<sup>3</sup>

وحماية الحي، عند عنتره، مفخرة عظيمة تعدل الحسب والنسب، إنها الأصل

والشرف:

إني امرؤ من خير عبسٍ منصباً      شطري وأحمي سائري بالمنصل  
وإذا الكتيبةُ أجمت وتلاحت      أفيثُ خيراً من معم محول

<sup>1</sup> ينظر، غازي طليمات، الأدب الجاهلي قضاياها أغراضه أعلامه فنونه، ص 136-142.

<sup>2</sup> حنا الفاخوري، الجامع في تاريخ الأدب العربي، دار الجيل، ص 141-143.

<sup>3</sup> شِكَّتِي: سلاحي، فرط: متقدمة سابقة.

## 4. المدح:

جاء في لسان العرب: «المدح: نقيض الهجاء، وهو حسن الثناء... والصحيح أن المدح مصدر، والمدحة الاسم والأمدوحة، والجمع مِدْحٌ، وهو المديح والجمع المدائح والأماديح. والممدوح ضد المقابح.»

والمدح في الاصطلاح غرض من أغراض الشعر، يقوم على فن الثناء، وتعدادا مناقب الانسان الحي، واشاعة محامده وفعاله التي خلقها الله فيه بالفطرة، والتي اكتسبها اكتساباً، والتي يتوهمها الشاعر فيه.

ويقضي المنطق أن يكون الاعجاب هو الدافع الأول الذي يُنطق الشاعر بمدح الممدوح. قال ابن رشيق: «وكانت العرب لا تتكسب بالشعر، وإنما يصنع أحدهم ما يصنعه فكاهة أو مكافأة عن يد، لا يستطيع أداء حقها إلا بالشكر إعظاماً لها، كما قال امرؤ القيس يمدح بني تميم رهط المعلى:

أقرَّ حشاً امرؤ القيس بن جحرٍ      بنو تميم مصابيحُ الظلامِ

قال ذلك لأن المعلى أحسن إليه وأجاره حين طلبه المنذر لقتله، فالغرض من المدح هو الشكر وإعلاء الذكر، ومكافأة من أحسنوا إليه، لا التماس احسان يطمع فيه على هذا النحو كان المدح ينبع من دافع حقيقي يدل على كرم الخلق، لا من عاطفة متزلفة تدل على ضعف النفس وهو أنها، ثم تطورت الدوافع وطغى حب المال على المدح والمادح. قال ابن رشيق: «فلما جاء الأعشى جعل الشعر متجراً يتجر به نحو البلدان [...]»

إن ارتباط المادح بالممدوح قد ينقلب، لطول العشرة، من نفع يعقب مدحاً، إلى تكريم يقتضي شكرًا، ومن الاتجار بالكلام إلى التغني بالفضائل، ومن صلة رسمية بضاعتها المجاملة إلى معايشة زادها الحب. ولم يكن مدح الجاهليين في معزل عن السياسة وأكثر



وأرى بالإضافة إلى ما قيل أن هذا السلوك يرتبط بجذور أسطورية، فقد كان البدائي القديم يعتقد في تأثير الكلمة تأثيرا ماديا على الناس والطبيعة، فالشاعر يواجه واقعه بتشكيل يقهره رمزيا، ويحطم عن طريقه الأبنية التي لا تتوافق مع رؤيته، ويحقق عن طريقه أمنياته الخيرة والشريرة، وينتظر به الخير، وستنزل به اللعنات.

«وللهجاء دور كبير في توجيه الحياة العربية والمحافظة على القيم»<sup>1</sup> فالهجاء هو الفن الذي يقود حركة المجتمع، وهو الذي يكشف زيف الناس، ويقوم الانحراف ويتتبع الفساد أنى كان ولم يكتف الشعراء بسلب المهجو فضائله ومرؤته، بل إنهم جعلوا نقص الفضيلة عيبا.<sup>2</sup>

«فليس الفضل أن تكون كريما، وإنما أن تكون أكرم الناس، وأحسنهم وأشجعهم، وأكثرهم مراسا وتجربة ونبلا، هذا فضلا عن كون الهجاء يمثل السلب في مقابل المدح بمعناه الواسع الذي يمثل الايجاب، كما أنه يمثل التنقيص والزراية ويكشف عن قدرة على السخرية، وإذا كنا رأينا أن النقد الاجتماعي يمتزج بنوع من الالتزام والخوف على المجتمع، فإن الهجاء ينبؤ عن كراهية ونفور تجاه المهجو.

ولا شك أن الهجاء يؤدي وظيفة اجتماعية ونفسية تشبه التطهير، حيث يتخلص الشاعر وقومه من بعض النزاعات، بإرضاء ميلهم لتحطيم نموذج يكرهونه، خلال التجربة التي يعيشونها وهم يقيمون ضمنا نمودجا مضاء لنمودج الهجاء.»<sup>3</sup>

وقد نسبت إلى الرسول صلى الله عليه وسلم قوله: «الشعر كلام جزل، تتكلم به العرب في بواديها، وتسل به الضغائن من بينها»<sup>4</sup>

<sup>1</sup> عباس بيومي عجلان، الهجاء الجاهلي، صوره وأساليبه الفنية، دار المعارف، د. ط، 1982، ص 133.

<sup>2</sup> نفس المرجع، ص 139.

<sup>3</sup> د. حسني عيد الجليل يوسف، الأدب الجاهلي قضايا، وفنون، ونصوص، مؤسسة المختار للنشر والتوزيع، القاهرة، ط1، 2001، ص 101.

<sup>4</sup> ابن رشيق القيرواني، العمدة، في محاسن الشعر وأدابه ونقده، دار الجيل، بيروت، دط، دت، ج1، ص 27.

وهذا ينبهنا إلى أن الشعر يقوم بما يشبه التطهير حيث يعيش المبدع والمتلقي في تلك التجربة التي تساعدهم على التوافق النفسي، والتخلص من الغرائز والرغبات المكبوتة ومن الهجاء قول الأعشى في مواجهة بني شيبان بعامة ويزيد بني شيبان بخاصة:<sup>1</sup>

رأيت بني شيبانَ يظهرُ منهم \*\*\* لقومي عمداً نغصّةً ومظالمُ  
 فإنْ تصبحوا أدنى العدو فقبلكم \*\*\* من الدهرِ عادتنا الربابِ ودارمُ  
 أبا ثابتٍ أو تنتهون فإنما \*\*\* يهيم لعينيه من الشرِّ هائم  
 متى تلقنا والخيلُ تحملُ برّنا \*\*\* خنازيرُ منها جلّةٌ وصلادمُ  
 فتلق أناسًا لا يخيمُ سلاحهم \*\*\* إذا كان حمًا للصفيح الجماجمُ  
 أبا ثابتٍ لا تعلقنك رماحنا \*\*\* أبا ثابتٍ أقصرُ وعرضك سالمُ  
 أفي كل عام تقتلون وننّدي \*\*\* فتلك التي تبيض منها المقادمُ

## 6. الرثاء:

الرثاء بكاء الميث ومدحه جاء في لسان العرب: «رثى فلان فلاناً يرثيه رثياً ومرثية إذا بكاه بعد موته، قال: فان مدحه بعد موته قيل: رثاه يرثيه ترثية، ورثوت الميث أيضاً إذا بكيته، وعددت محاسنه، وكذلك إذا نظمت فيه شعراً»<sup>2</sup>

فدافع الرثاء نبيل المنشأ، شريف المقصد، ينبع من حزن الشاعر على انسان قطع الموت صلته بالأحياء، فليس إلى نيل الصلة منه سبيل، ويهدف إلى افراغ النفس من لواعج لا شفاء لها منها إلا بالبكاء على الراحل وتعداد مناقبه.

<sup>1</sup> الأعشى الكبير، ميمون بن قيس، ديوانه، تحقيق د. محمد محمد حسين، دار النهضة العربية، بيروت، دط، 1974، ص 127-129.

<sup>2</sup> ينظر، غازي ظليمات، الأدب الجاهلي، قضاياه، أغراضه فنونه أعلامه، ص 190-192.

ولا نستبعد أن ينبع بعض الرثاء من احساس الشاعر بالضعف أمام الموت، وبالعجز عن مغالبتة، فكأنه حينما يحزن على الفقيد يحزن على نفسه، إذ يشعر على نحو ما أنّ موت غيره نذير بموته، وكلما كان الفقيد أقرب يحمل معه بعضاً من حياة الفاقد كالذكريات والأواصر التي جمعتهم، والثاني أنّ رحيل الراحل إيذان للمقيم بالسفر القريب.

ويظهر من استقراء الرثاء في العصر الجاهلي أن نفوس العرب لم تكن شديدة الانكسار أمام الموت، لأن طبيعة الحياة فرضت على القوم التجلد في النكبات، ومجابهة الحزن بالعزم، وتحويل فاجعة القتل. وأكثر مرثي الجاهليين في القتل إلى تصميم على الانتقام، ومفاخرة بالمآثر.

وأشيع المعاني في الرثاء أن يصور الشاعر الفجيعة، وأن يحلّل تأثيرها على نفسه، وفي نفوس الناس الذين تربطهم بالفقيد رابطة من صداقة أو نسب، وأن يعدد مناقبه كالشجاعة والكرم والنجدة والشرف، وأن يدعو له بالسقيا بعد الموت.

والرثاء ينقسم إلى نوعين: رثاء فردي ورثاء قبلي.

### أ. الرثاء الفردي:

يعد الرثاء الفردي أصدق نوعي الرثاء، وأعلقهما بالنفس، وأقربهما إلى الفطرة والطبع، وفي هذا النوع تبرز النساء الرجال لا بجودة النظم وعمق المعنى، بل بصدق الاحساس وتصوير الفجيعة ولمراثي النساء صور، فقد ترثي الأم ولدها، وتندب الأخت أخاها، وتبك البنت أباه. وفي أيام العرب مادة عظيمة للرثاء، شغلت نساء العرب، وملأت قلوبهن بأحداثها الجسام ومآسيها المروعة، ومن الأمثلة الكثيرة التي حفلت بها أيام العرب رثاء دخنتوس أباه لقيط بن زرارة سيد بن تميم، وأقسى ما ألمها هو قتل أبيها غدرا، فقالت:

بَكَرَ النَّعِيُّ بِخَيْرِ خُنْدَفٍ ... كَهْلَهَا وَشَبَابِهَا

وبخيرها نَسَباً إذا ... عُدَّتْ إِلَى أَنْسَابِهَا  
ورئيسها عند الملوك ... وزين يوم خطابها

### ب. الرثاء القبلي:

إنَّ ارتباط الشاعر بقبيلته حمّله تبعات كثيرة، كان ينهض بها مختاراً في السلم والحرب، فهو في السلم لسانها الناطق بالمفاخر، وفي الحرب شعلتها التي تضرم الغضب في النفوس، وبعد الحرب نادبها الباكي على القتلى، ولما كانت حياة الجاهلية حروباً موصولة بحروب فقد كثر في شعرهم الرثاء واتخذ بعضه طابع الرثاء القبلي العام، وبرز فيه الشعراء بروز القادة ولذلك شاع في هذا الرثاء البكاء على أبطال القبيلة، والقبول بالقدر المقدر، لأن القبائل العربية جلّها تلتقي في ملتقى واحد هو النزح الدائم إلى القول والرحيل عن المنازل إلى المقابر في موكب لا ينقطع، قال عبيد بن الأبرص يرثي الذاهبين من قومه:

لِمَنْ طَلَّ لَمْ يَعْفُ مِنْهُ الْمَذَانِبُ

فَجَنَّبَا حَبْرًا قَدْ تَعَفَّى فَوَاهِبٌ<sup>1</sup>

دِيَارُ بَنِي سَعْدِ بْنِ تَعْلَبَةَ الْأُولَى

أَذَاعَ بِهِمْ دَهْرٌ عَلَى النَّاسِ رَائِبٌ<sup>2</sup>

فَأَذْهَبَهُمْ مَا أَذْهَبَ النَّاسَ قَبْلَهُمْ

ضِرَاسُ الْحُرُوبِ وَالْمَنَايَا الْعَوَاقِبُ<sup>3</sup>

### 7. الحكمة:

«وهي ذكر آراء صائبة تصدق في الواقع أو توافق المنطق أو تجز نتائج الاختبار الطويل في الألفاظ اليسيرة، وليس من الضروري أن ترد الحكمة على لسان العلماء والأذكياء

<sup>1</sup> عفى: درس، المذائب: موضع أو مسايل الماء، حبر وواهب: موضعان.

<sup>2</sup> أذاع بهم: ذهب، رائب: كثير الشر لا خير فيه.

<sup>3</sup> ضراس الحروب: شدتها، العواقب: المتابعة التي يعقب بعضها بعضاً.

وأصحاب الاختبار في الحياة فقط، فلقد جرت أقوال من الحكمة البالغة على ألسن نفر من الجهال والأفدام والمشعبذين وصغار السن ومن لا يكادون يبينون في كلامهم، والامثال على لسان الحيوان تدخل أيضا في باب الحكمة، وكذلك التزهيد والمواعظ<sup>1</sup>

وكما جاء في المعجم الفلسفي: «أن الحكمة العلم والتفقه...» وهنا يتبين لنا أن الحكمة ذات وجهين: وجهاً نظرياً، ووجهاً عملياً؛ الوجه النظري فيعني المعرفة العميقة، والادراك الدقيق لحقائق الحياة والكون، أمّا الوجه العملي فالمقصود منه تطبيق المثل والقيم التي يتهدى العقل السليم إلى معرفتها، ليتسنى لصاحبها الوصول إلى السعادة والطمأنينة.

وإذا كان وجهها الحكمة متلازمين فإن الحكمة في غالب الأحيان لا تصدر «إلا عن العقلاء المجريين المتبصرين بعواقب الأمور، فينطق الانسان عن أحوال الناس بكلمة تجمع أنواعاً كثيرة». ولعل أبرز المحاور التي دارت حولها أغراض الحكمة في الشعر الجاهلي: (جدلية الموت والحياة) وما يتصل بها من أسباب ونتائج. والموت في رأي زهير بن أبي سلمى قوة جاهلية عمياء<sup>2</sup>:

رَأَيْتُ الْمَنَايَا خَبَطَ عَشَوَاءَ مَن تَصِيبُ ثَمَّتُهُ وَمَنْ تُخَطِي يُعَمَّرَ فَيَهْرَمَ  
وَمَنْ هَابَ أَسْبَابَ الْمَنِيَّةِ يَلْقَاهُ وَإِنْ يَرِقَ أَسْبَابَ السَّمَاءِ بِسُلْمٍ

## 8. الحماسة:

وهي وصف المعارك والفخر بالنفس وبالأسلاف والحماسة أيضا تتضمن المعاني التي تدل على الصبر على الحوادث والتجلد لأيام وعلى عدم المبالاة بما ينشأ عن التحول عن الإلف وترك الصديق والعشير، لأن ترك الوطن والاخلال بالعشيرة، ربما أدى إلى التخاذل والتقاتل، فالصبر عليه كالصبر على القتال.

<sup>1</sup> ضياء الدين أبي الفتح نصر الله بن محمد ابن الأثير، المثل السائر، نشره محمد محي الدين عبد الحميد، القاهرة، دط، 1939، ص 22-26.

<sup>2</sup> ينظر، غازي طلبمات، الأدب الجاهلي قضاياها أغراضه أعلامه فنونه، ص 207-211

## التحديد الجغرافي:

شبه الجزيرة العربية هو موطن العرب في جاهليتهم، اختلف العلماء في تسميته وتحديدته على مر العصور وذلك بسبب تقلبات الأنواء ورقعة الأرض وصفحة السماء وبسبب طبيعة السكان وأحوالهم الاجتماعية والمعاشية.

وشبه الجزيرة في الحقيقة هو البقعة الممتدة بين البحر الأحمر غرباً، والمحيط الهندي جنوباً. وخليج العرب شرقاً، والعراق وبلاد الشام شمالاً على مساحة نحو ثلاثة ملايين كيلومتر مربع.

## الخصائص الجغرافية للبيئة الجاهلية:<sup>1</sup>

شبه جزيرة العرب بلاد أكثرها صحاري ودارات، وهي أعلى ما تكون غرباً ثم تتحدّر إلى الشرق إلّا عند عمان، وتقع في المنطقة الحارة، فلا يحسن مناخها إلّا على الهضاب المرتفعة ولا يعكر صفاء جوها إلّا بعض الغيوم التائهة هنا وهناك، تأتي أمطار موسمية، تنثرها في بعض الأماكن القليلة وكثيراً ما تتتابها مواسم جفاف فتجف معها الحياة، وليس في شبه الجزيرة نهر واحد دائم الجريان بل شبكة من الأودية تجري فيها السيول إذا تساقط المطر. فيعمد الناس إلى السدود يحسبون بها المياه ويخزنونها لأوقات الحاجة.

وأما الرياح فلها في البلاد مسارح ومناسج منها الصبا تهب في الشمال شرقية لطيفة، ومنها الغربية تحمل من البحر الأبيض بلالاً وأمطاراً؛ ومنها شر الرياح ومركبة الشر والويل، تهب في وسط الصحراء برائحة كبريتية وقسوة عنيفة، فتسلب رطوبة الهواء، وتقضي على الحياة والأحياء.

<sup>1</sup> الجامع في تاريخ الأدب العربي القديم، ص 63- 64.

سطح بلاد العرب شديد التفاوت، فالقسم الأعظم منه بادية، أي أرض تصلح للزراعة ولكن لا ماء فيها، ويتخلل البوادي واحات ومرتفعات تنبت الزرع والنخيل أما الصحاري فهي عبارة عن أراضي رملية لا تصلح للزراعة ولو وجد الماء، تنتسج في الشمال حيث تدعى النفوذ، وفيها عدد من الواحات أشهرها "تيماء"

وكذلك تنتسج هذه الصحاري اتساعا أكبر في الجنوب حيث تدعى "الدهناء" أو الربع الخالي.

وتتهد في شمالي شبه جزيرة العرب هضبة متسعة تدعى نجداً أي المكان المرتفع، سطحها ذو انحدار تدريجي من الغرب إلى الشرق، وتحدّ نجداً من الغرب جبال اسمها الحجاز لأنها تحجز بين تهامة (الأرض المنخفضة) على ساحل البحر الأحمر وبين نجد.

أما من الشرق فتحدّه مرتفعات تفصل بينه وبين البحرين شاطئ شبه جزيرة العرب على خليج البصرة، وتتصل هضبة نجد في الشمال بالعراق والشام أما في الجنوب فتتصل باليمامة، وهضبة نجد هي المكان الذي نشأ فيه فحول الشعراء قبل الاسلام.

### علاقة الشعر بالبيئة:

إن الشعر كما قاله ابن سلام يدل على معالي الأخلاق وصواب الرأي ومعرفة الأنساب، فالشعر صورة فنية موازية لحياة أصحابه وبيئتهم وهي تختزن في عبارتها أفكارهم وعاداتهم وأنسابهم ومشاعرهم في كل زمان.

فالشعر الجاهلي هو الذي يحكي عن بيئة الشاعر وقبيلته، لأن الأرض التي يعيش فيها هي موطنه، والأحداث التي تجري فيها هي خواطر وذكريات مشاعر ولهذا عندما نسمع كلمات الشاعر التي تخص البيئة نحس كل شيء عن طبيعته ومجتمعه ونشهد التجربة التي مر بها الشاعر ونقلها إلينا في صورته واقعا فنيا وفكريا بأي شكل كان. ف شعر الجاهلية ابن

تلك البيئة متأثر بها ومؤثر فيها، وقد تأثر بعوامل كثيرة طبيعته بطوابع عرف بها، ومن أبرز تلك العوامل:<sup>1</sup>

1. **الصحاري الشاسعة:** فالصحاري غلبت على الجزيرة حتى قيل إن أرض العرب

معظمها صحاري، لهذا كانت معظم كلمات الشعر الجاهلي خشنة، وقاسية، وجافة.

2. **البيئة الاجتماعية:** فالقبيلة التي شكلت الوحدة السياسية آنذاك كانت بمثابة الدولة

في أيامنا هذه، وقانون العصبية وما تبعه من ثأر وجوار وذوبان شخصية الفرد في الجماعة وطغيان روح الجماعة على النزعة الفردية، كل هذه أثرت في شعر الجاهلية.

3. **البيئة الثقافية:** وهي ذات أثر فعال في نتاج تلك الفترة ولا يقلل من شأنها عدم

معرفة الكثير من جوانبها بسبب الطمس والضياع، ولكن مؤشرات كثيرة توحى بأنها كانت غنية متنوعة، رفدت الشاعر الجاهلي وأغنت مضامينه.

4. **الحروب:** فالبيئة الجاهلية، كانت بيئة حروب ونزاع، لهذا السبب كثر شعر الحماسة

والرثاء والمدح والهجاء، حيث أن كل قبيلة لها شاعرها الخاص بها وممثلها.

### مكانة الشعر والشاعر في المجتمع الجاهلي

كان اهتمام العرب بالشعر والشعراء كبيرا، وشواهد ذلك كبير، حتى إن القبائل كان

يهنئ بعضها بعضا حين ينمي إلى عملها نبوغ شاعر فيها، وكان بعض الشعراء يسمون بالنوابغ دليلا على تميز الشاعر وعلو مكانته في قول الشعر.

حيث كتب عمر بن الخطاب - رضي الله عنه- إلى أبي موسى الأشعري: «مُرْ مَنْ

قَبْلَكَ بتعلم الشعر، فانه يدل على معالي الأخلاق، وصواب الرأي، ومعرفة الأنساب»<sup>1</sup>

<sup>1</sup> ينظر، حصاد قرن، عفيف محمد عبد الرحمان، دار جرير، عمان، د.ط، 2006، ص 310-311.

ويقول أبو تمام:

ولولا خِلالُ سنِّها الشعرُ ما درى      بغاةُ العُلا من أين تُوتى المكارمُ

فدور الشعر في توجيه المجتمع ونقده، وفي امتاعه وافادته، دور عظيم الأهمية بعيد الأثر.

فالشعر هو المظهر الجماعي الثاني من مظاهر الفروسية، وقد تكلم الجاحظ عن أثر الشعر في نباهة القبيلة والمجتمع، ويرتفع مقام الشاعر إذا اجتمعت الفروسية والشعر فيه، فيبلغ عندها أرفع لدجات، وكان أوقع الكلام عندهم ما صدر عن شاعر تلاقي نفسه صفاء آلة البيان وآلة الحسام، وذهب بعض الباحثين إلى أن الشعر الجاهلي كان يمثل فكرة الفن للمجتمع أصدق تمثيل، فهو مرآة عاكسة لما يدور في المجتمع فهو يعبر عن قضاياها ومشاكله وتجاربه ومخاوفه وآماله.

فدور الشاعر في القبيلة العربية كبير حيث يستطيع ان يقدم لها الشيء الكثير وهو أشبه ما يكون بجهاز إعلامي ضخم.

ففي الأسواق والمواسم تحرص القبيلة على اصطحاب شعرائها، إلى حلقات المفاخرة بين شعراء القبائل، كل يشيد بمناقب قومه ويعدد مآثرهم، وينتقص من شأن الآخرين وإذا حاول أحد الانتقاص من شأن القبيلة، أو التعرض لها انبرى شاعرها للرد، ولو كان هذا التعرض ملكا.

ولم يقتصر الشعراء في مجالس الملوك على الفرد فحسب، بل إنهم يدافعون عن قبائلهم ويستعطفون الملوك، ووصل الأمر بالشاعر الجاهلي إلى تهديد الملوك وتوعددهم إذا ما حاولوا النيل من كرامته أو اضطهاد قومه.

<sup>1</sup> د. حسني عبد الجليل يوسف، الأدب الجاهلي، ص 10-16.

وفي الحروب يقف الشاعر متغنيا ببطولاته وشجاعتهم، ومتغنيا ببطولاته هو إن كان ممن يخوضون غمرات القتال، وهذا هو الغالب، ويسهب في وصف المعارك وتساقط القتلى من الأعداء ويصف قلوبهم المولية، وسببهم الذي وقع في أيدي قومه في حومة الوغى، فيرثيه رثاء هو أقرب إلى الفخر كنه إلى الرثاء، متغنيا بشجاعته وبسالته.<sup>1</sup>

ويقوم الشاعر في قومه بدور الناصح المحذر من مغبة الوقوع في الشرك إذا ما حاولوا الاحتكاك بملك أو استباحة حماه لئلا يصيبهم منه ما يكره شاعرهم.

والشاعر يسجل كل الحوادث التي تقع في مجتمعه، ويحاول أن يحث قومه على عدم التفرق والتشتت، وإذا ما حدث الشقاق أنحى باللوم على المخطئ بين أبناء القبيلة، وصور ذلك بأمانة الحرص على وحدة قبيلته.

وعلاقة الشاعر بشعره علاقة وثيقة لأنه المعبر إلى ذاته وإلى غيره من الناس وإلى عالمه وهو الأداة التي يقوم بها نفسه، كما يقدم بها غيره، ويقدم بها عالمه.

فالشاعر أصبح قادرا على أن ينفذ ويضرب بشعره، ومن هنا ارتقت مكانة الشعر والشعراء وهابهم الناس، وسعوا إلى إرضائهم.

والشاعر الجاهلي ينظم الشعر لحاجة في نفسه، أو لدافع فطري أو لمنظر طبيعي يهيج فيه قوة التصوير، فينشد ويتغنى بشعره، فيحفظه بعض الأعراب، عوضا أو عمداً، فيسير من حي إلى حي، ومن ماء إلى ماء، حتى إذا ما اشتهر اسمه أنت وفود القبائل تهنيئ قبيلة الشاعر، فيطربون ويقيمون الأفراح.

<sup>1</sup> فؤاد أفرام البستاني، الشعر الجاهلي، نشأته وفنونه وصفاته، بحث أدبي انتقادي، المطبعة الكاثولوكية، بيروت، 1927، ص 40-41.

الفصل الثاني:

أنواع البيئة الجاهلية وتجلياتها  
في شعر امرئ القيس.

# الفصل النظري: انواع البيئة الجاهلية

اولا: البيئة الطبيعية.

أ-الطبيعة المتحركة.

ب-الطبيعة الصامتة.

ثانيا:-البيئة السياسية.

أ-الحروب.

ب-ايام العرب.

ثالثا - البيئة الاجتماعية.

أ-طبقات المجتمع الجاهلي.

ب-صورة المرأة في الشعر الجاهلي.

أولاً: البيئة الطبيعية:

أ/ الطبيعة المتحركة:

1/ الخيل:

احب العرب الخيل في العصر الجاهلي,لما ادتة لهم من نفع كثير لذلك كانت عنايتهم بها ,واهتمامهم بتربيتها,عناية تفوق كل شئ.

وقد اشتهر الجاهليون بالمحافظة على انسائها,فتراهم يحدون ذكراها في قصائدهم.وكان اطلاق الاسماء على الخيل عادة مالوفة ليتمكنوا من تمييزها,ليعرفوا الاصيل منها من غيره.وحفلات قصص الفروسية العربية بذكر كثير من اسماء الخيل التي كانت تمثل الاصحاب الحقيقيين لها. ولم تكن العرب في الجاهلية تصون شيئاً من اموالها,في سبيل الخيل.

فكانوا بها يدافعون عما يملكونه,ويحمون دمارهم,فظل ذكراها يتردد على شفاهم.

وكان العربي يبيت طاويا,ويشبع فرسه,ويؤثره على نفسه واهله وولده<sup>1</sup>,فهو يحبها اشد الحب ويرعاها احسن الرعاية , ويديم النظر اليها من كل ناحية وفي كل حركة.فقد اخذ الشاعر الجاهلي يصف خيله وصفا دقيقا,فيتناول اعضاءها وقوتها وقد دارت اوصافها في شعرهم,فلم يتركوا عضوا من اعضاءها الا وصفوه, وقد ارتسم في صورهم التي صوروها مدى الاهتمام والاعتزاز الذي يساورهم اتجاه هذا الحيوان الاليف.

والفرس عدة للفارس في الحروب ,لغيرتها على صاحبها وهذا حملهم على تقريبها من بيوتهم اكراما لها حتى سميت بالمقربات. وبلغ من تعظيم الخيل انهم كانوا لا يهنئون الا بسلام يولد او شاعر ينبع,او فرس تنتج,وكما كان لفظ الخيل يضاف الى بعض الاسماء .

وطبيعي ان نجد العربي يتغنى بامتلاكه الفرس ,ويفخر باهتمامه بها,وولعه بركوبها ولم يمنعه الاقتران من الحصول عليها,لانها مكسبه في كل رهان ووسيلة يستعملها في الحرب والصيد.

<sup>1</sup> ينظر,نوري عمودي القيسي,الطبيعة في الشعر الجاهلي:ص106، 109 .

وقد جمع ابودؤاد من منافعها ما برر له الاحتفاظ بها فقال:

عَلِقَ الخيلَ حبَّ قلبي مُقْلًا      وإذا ثابَ عندي الإكثارُ  
عَلَقْتُ همَّتي بهنَّ فما يم      نع مني الأعتة الإقتارُ  
جُنَّةٌ لي في كل يومِ رهانٍ      جمعت في رهانها الأذسارُ  
وانجرادي بهن نحو عدوي      وارتحال البلاد والتَّسيارُ

## 2/ الإبل :

اهتم الشعراء الجاهليون بوصف الإبل ,واستأثرت بحبهم لانها الحيوان المناسب للحياة في الصحراء,ومقاومتها للظروف القاسية,ومن هنا كثر تردد ذكرها في الشعر حتى لا تكاد تخلوا قصيدة من ذلك,ولم يكن حديثهم عنها مثقلا او مملا, فالإبل في واقع حياة هذه المجموعة من الشعراء هي وسيلة من وسائل النقل التي تتحمل ما يفرضه السفر عليها من الجهد والمشقة كما انها اداة للتسلية التي يفرجون فيها عن احزانهم,فبسرعتها ومشيتها تثار نوازعهم للوصف,وهي جسر ينقلون بواسطته من حديث النسيب الحزين الذي يشتد فيه الالم, حتي يؤثر في النفس ,وهي مع كل هذا لاتمل ولا تشكو ولا تضجر وبهذا فقد شغلت الناقة المكان الكبير عند شعراء الجاهلية,وتستحوذ على جزء كبير من شعرهم فقال طرفة:<sup>1</sup>

وبرك هجودٍ قد أثارت مخافتي      بواديهما أمشي بعضبٍ مجرد  
فمرت كهاة ذات خيفٍ جلالةً      عقيلة شيخٍ كالوبيل بلندد  
يقول وقد ثر الوظيف وساقها      ألسن ترى أن قد أتيت بمؤيد

وكانت البلسم الذي يشفي لبجروح ,ويزيل لهب النار المتاجج من النفوس<sup>2</sup>.فقد بلغت حدا كبيرا من الاعتزاز, وكان بعض الشعراء ينعن ناقته بصاحبها وكان التجاوب العميق في

<sup>1</sup> طرفة ابن العبد,ديوان طرفة,ص 321.

<sup>2</sup> زهير بن ابي سلمى ,الديوان ,تحقيق الاستاذ مصطفى السقا,دار الكتب,د.ط,1944ص17.

نفوس الشعراء تجاه هذا الحيوان و الاحساس الذي يشعر به هذا الحيوان تجاه الانسان متبادلا, والمشاركة الوجدانية لما يقع عليه واضحة في الصور التي قدمها لنا الشعراء, ثم ان اعجاب العربي بالابل و تركيبها كان يشكل عاملا نفسيا اخر من عوامل الاعجاب بهذا المخلوق, فحاول ان يصور وقائعها و هيئتها و اعضاءها, لانه يرى فيها نواحي الجمال و عبقرية الكون. وقد كان العرب يحتفظون بانسابها, فكان اكرم فحل للعرب يسمى عصفورا و تسمى التده عسافير النعمان.

ولم يكتف الشعراء بهذا الوصف, اذ حاولوا ان يقابلوا بينها وبين الحيوانات الاخرى القوية والسريعة, كالثور الوحشي والحصان الوحشي, ليضعوا عليها طابع الشدة, وليؤكدوا صفة السرعة التي كانوا يسعون الى تصويرها.

## 3/ الضباء:

لقد أكثر الجاهليون من ذكر الضباء و أوصافها ، و التشبيه بها في الطول العنق ، ونصاعة اللون، و راقهم في تناسق الاعضاء و رشاقتها بها كل ما وجدوه رائقا في نظرهم جميلا في نفوسهم، اما ذكرها مقرونة بالأطال فقد وقف الشعراء عنده وقفات طويلة، وهم يستذكرون أيام لهوهم وصباهم لوداعتها و جمال صورتها، وتنا سبها مع ما يحملون لهذه الديار من مكانة رفيعة ، قال امرؤ القيس :

ترى بعر الأرام في عرصاتها وقيعانها كأنه حب فلفل

وقال المرقش الأكبر:<sup>1</sup>

هل تعرف الدار عفا رسمها ألا الأثافي ومبنى الخيم

أمست خلاء بعد سكتها مقفرة ما إن بها من أرم

فقد وجد الشعراء في الضبي نمودجا محبوبا لتشبيه المرأة به لدى يعتمدون إلى تصويرها وهي متأخرة عن الأصحاب لتكون منعزلة ، وفي هذه الحالة تتبين محاسنها لأنها لو كانت في القطيع لم يتسبن ذلك منها، وكانوا يطلقون عليها الجذول.

خدول تراعي ريربا بخميلة تناول أطراف البرير وترتدي

ولم تبتعد عن أذهانهم صورة النساء اللاتي صغرت عنهن هوادجهن فوصفوهن بالضباء التي صغرت عنها مكانسها، فخرج بعض اجسادهن منها.

<sup>1</sup> المفضل بن محمد، المفضليات، تحقيق الأستاذين أحمد محمد شاكر وعبدالسلام هارون، دار المعارف، د.ط، 1943، ص22.

لذلك شبهت النساء اللواتي تطلع من بين الهودج بالطباء الموشقات و استحسنا فيها طول العنق، فشبها به عنق المرأة ، وراقهم فيها صفاء اللون ونصاعته وبياضه فأضفوه على النساء اللواتي اعجبوا بهن، وتغزلوا بمفاتنهن، قال عبيد:

وسبتك ناعمة صدفى نواغم بيض غرائر كالطباء العيس

كما جاء ذكر الطباء في حديث الشعراء الصعاليك ، وسرعة عدوهم التي تفوق سرعة الطبي الهارب من مطاردة طائر جارح، ودخل حديث الطباء في معتقدات الجاهليين وكانت لهم في ذلك أحاديث كثيرة.

### ب/ الطبيعة الصامتة:

يتوارى من خلال الشعر الجاهلي وصفا لمختلف عناصر الطبيعة الصامتة منها:

#### 1/ الوديان:

لقد ذكرت أسماء بعض الوديان في احاديث الشعراء عن طعائن احبتهم لانها كانت تتخذ بعض الوديان مراكز تنزل فيها بعد عناد السفر الطويل و الرحلات المتواصلة, لتتزوج بما تحتاج اليه من مياه او طعام.

وكان ورود الوديان في الشعر يأتي في كثير من الاحيان مقترنا بذكر الحبة و الاشتياق الى ديارهم, قال امرئ القيس:<sup>1</sup>

وتحسبُ سلمى لا تزال ترى طلاً من الوحشِ أو بيضاً بميثاءٍ محلّالٍ

وتحسبُ سلمى لا تزال كعهدنا بوادي الخُزّامي أو على رَسّ أوعالٍ

وطبيعي ان تكون خصوبة هذه الوديان, ووفرة مياهها من العوامل التي حملت الناس على اتخاذها اماكن ينزلون بها لان عوامل التعرية ازلت جزءا كبيرا من سطح الارض, ولا بد ان تكثر اسماء الوديان في اخبارهم وايامهم لارتباطهم الوثيق بها, فالسوبان مثلا واد في ديار بني

<sup>1</sup> ينظر, د. نوري حمودي القيسي, الطبيعة في الشعر الجاهلي ص30\_33.

تميم، والاحص واد لبني تغلب كانت فيه بعض وقائعهم مع اخوتهم بكر....  
وكان الشعراء يرددون ذكر الوديان المقترنة بالنصر للمباهات و المفاخرة، قال ربيعة ابن  
مكدم:

ان كان ينفحك اليقين فسائلي عني الطعينة يوم وادي الاخرم<sup>1</sup>  
وقد اثارت الوديان العميقة في نفوس العرب الهواجس والتصورات لتفردهم في  
السير فيها، فكانوا يتصورون اشكال الجن، وقد حفل الشعر بامثال هذه الحكايات.  
قال زهير:

وَبَلَدَةٍ لَا تُرَامُ خَائِفَةً زَوْرَاءَ مُغْبَرَّةٍ جَوَانِبُهَا  
تَسْمَعُ لِلجِنِّ عَازِفِينَ بِهَا تَضْبِحُ مِنْ رَهْبَةٍ تُعَالِبُهَا  
2/ الجبال:

تعد سلسلة جبال السراه الممتدة من اليمن جنوبا إلى أطراف بادية الشام شمالا من أعلى  
المناطق إرتفاعا، وتبرز في درى هذه السلسلة مراقب عالية.  
وكان الشاعر يتحدثون عن الجبال في أثناء حديثهم عن قطع المغاوز ، وقدرتهم على  
إختراقها و عبورها بناقة تقرب البعيد و تصل ماتباعد من الجبال.

وفي حديث الشعراء عن اديار أحببتهم ، ومواقع سكناهم، اشارو إلى مواضع الجبال  
وأماكنها فذكروا جبل خزاز، قال عمرو نب كلثوم:<sup>2</sup>

وَنَحْنُ غَدَاةٌ أَوْقَدَ فِي خَزَازِي رَفَدْنَا فَوْقَ رِفْدِ الرَّافِدِيْنَا

ومثل هذا في الشعر الجاهلي كثير ، كما ذكروا الجبال مقترنة بحوادث معينة تمثل انتصارهم  
أو انحذارهم ، خصبهم او جذبهم قال لبيد:

<sup>1</sup> ديوان زهير، ص 265 .

<sup>2</sup> ينظر، د.نوري حمودي القياس ، الطبيعة في الشعر الجاهلي ، جامعة بغداد للنشر، ط1. 1970، ص33.232.

دَرَسَ الْمَنَا بِمُتَالَعِ فَأَبَانَ  
وَنَقَادَمَتِ بِالْحُبْسِ  
فَالسُّوْبَانَ  
فَنَعَا فِ صَارَةَ فَالْقَنَانَ كَأَنَّهَا  
زُبْرٌ يُرْجَعُهَا وَوَلِيدُ  
يَمَانَ

وقد كان الشعراء يذكرون الجبال في أحاديثهم عن السيول ، لأن قوة هذه السيولة كانت من جوانبها، وهذا مادفعهم إلى تصوير هذه الحركات.

ولقد كان الشعراء يحاولون ان يتخذوا منها وسيلة في بعض الأحيان يبسطون فيها رغبتهم ويفسرون في اطرافها ما يردور في أذهانهم من الفكر ، مستخدمين في ذلك احوال هذه الصور واشكالها للتدليل على الغية التي يهدفون إليها.

وضخامة بعض الجبال وعظمتها في نفوسهم، ونباتها دفعتهم الى انيضربوا بها المثل في الصبر على النوازل.

هذه بعض الصور التي وجدناها ممثلة في الشعر الجاهلي للجبل وقد وجدنا ان الجانب الحسي من هذه الاوصاف يشتغل جانبا كبيرا من اوصافهم وان نظرتهم الى الجبل لم تكن مجردة، وانما حاولو أن يمنحوه احساس ويضفوا عليه شعورا من الانسانية مستمدين منه صور العظمة و القوة و الصبر و الثبات.

### 3/ الكئبان:

لقد كانت الكئبان الرملية المنتشرة في مساحات واسعة من جزيرة العرب ،مشكلة جبالا و السنة رملية متناسقة،فهي اشكال عرفها الشعراء فارتسمت صورها في اذهانهم،وحددوا ابعادها هندسيا،فكان ماستطال منها حبلا ،وما اعوج حقا،وما استدار دعصا،وبقيت هذه الاشكال واضحة،يستمد منها الشاعر صورته،ويعقد بينها وبين مايريد الحديث عنه تشبيهاته،ومتلما وجد

الشعراء في الجبال امكنة يذكرونها في اشعارهم، كذلك وجد الشعراء في اسنمة الرمال المتناثرة و كتبانها امكنة يقفون عندها في احاديثهم وحكاياتهم. فوقف امرئ القيس عند رملة حومل فقال<sup>1</sup>:

قفا نبك من ذكرى حبيب ومنزل بسقط اللوى بين الدخول فحومل

واشار اليها طرفه وهو يصف ناقته فقال<sup>2</sup>:

مو للتان تعرف العتق فيهما كسامعتي شاة بحومل مفرد

ونستطيع ان نقول ان اغلب ماورد فيه ذكر الرمال، كان في اثناء حديث الشعراء عن الاطلال، وتخصيصهم ملتوى الرمل لانهم كانوا لاينزلون الا في صلابة من الارض ليكون ذلك اثبت لاوتاد الابنية، واماكن الحفر النوي، وانما تكون الصلابة حيث ينقطع الرمل ويلتوي ويرق، كما كانوا يتعرضون لذكر الرمل في حديثهم عن الثيران الوحشية.

ولم ينس الشعراء صوت الرمال اذا هبت الرياح، وما كان يسمع لها من اصوات و ما كانوا يتوهمونه فيها، وهم ينصتون لهذه الاصوات، وقد دفعهم هذه الوهم الى ان يسموا رمالا معينة (بالزاف) لانهم سمعوا فيها عريف الجن، وقد حكيت حول هذه المناطق التي لم يتمكنوا من دخولها اساطير غريبة، واطلقوا على هذه المواضع، وضربوا بها المثل.

#### 4/ السراب:

وصف الشعراء كل ما شاهدوه في صحرائهم المترامية الاطراف، وصوروه بما كان في نفوسهم من الصور، وعقدوا بينه وبين ماكانوا يبتغون وصفه من الصور المشابهة ماتهيأ لهم، واكثر ما كانوا يتحدثون عن مظاهر الصحراء في حديثهم عن المحالات التي يظهرون فيها بطولاتهم، ولا بد من ان يتطرقوا في حديثهم عن الجبال الشامخة وسط هذا الفضاء الرحب، والكتبان الرملية المنتشرة بينها كانوا يختارون لأوصافها اوقات النهار حين يمتد هذا

<sup>1</sup> امرئ القيس، ديوانه، ص 08.

<sup>2</sup> طرفة بن العبد، ديوان طرفة، تحقيق د. علي الجندي، دار الرسالة للنشر، مصر، د. ط، 1958.

السراب فإذا كل هذه المظاهر تتحرك في الصورة وتتراقص أجزاءها وكأنها مجاميع من شجر الدوم والنخيل تارة ,او السفين تارة اخرى.وفي هذا الجانب يقول امرئ القيس<sup>1</sup>:

فَشَبَّهْتُهُمْ فِي الْآلِ لَمَّا تَكَمَّشُوا      حدائق دوم أو سفيناً مقيراً

أَوْ الْمُكْرَاعَاتِ مِنْ نَخِيلِ ابْنِ يَامِنٍ      دوين الصفا اللائي يلين المشقرا

سوامق جبار أثيث فروعها      وعالين قنواناً من البسر أحمرأ

وكان اغلب ماورد من الشعر في السراب من خلال احاديثهم عن الابل وسرعتها وشدتها,والاعلام التي كانوا يهتدون بها وقد اشار المرقش الاكبر الى ذلك في قوله:

وَأَعْرَضَ أَعْلَامٌ كَأَنَّ رُؤُوسَهَا      رُؤُوسُ جِبَالٍ فِي خَلِيجٍ تَغَامَسُ

إِذَا عَلِمَ خَفَّتُهُ يُهْتَدَى بِهِ      بدأ علم في الآل أغبر طامس

## 5/ المياه:

اجتمع المؤرخون الباحثون على ان جزيرة العرب كانت تختلف اختلافاً كلياً من حيث وفرة المياه,والحصب,وكثرة الامطار,والشعر الجاهلي يحفل بإشارات كثيرة الى الغدران والجدال والعيون والسيول,وكثيراً ماكان يأتي ذكر بعض هذه المظاهر في حديث الشعراء عن قدرتهم على اجتياز المسالك الصعبة,وقطع مجاهل الارض في جرأة غير محتاجين الى وصف الواصف,او هداية الدليل ,قال تأبط شراً يصف غدرانا تجمعت من سيل عظيم,خاع الصخر من مواضعه<sup>2</sup>.

وَشَعْبٍ كَشَلَّ النَّوْبِ شَكْسٍ طَرِيقُهُ      مَجَامِعُ صَوْحِيهِ نِطَافٌ مَخَاصِرُ

بِهِ مِنْ سُبُولِ الصَّيْفِ بِيضٌ أَقْرَاهَا      جُبَارٌ لَصْمٌ الصَّخْرِ فِيهِ قَرَارُ

وكانت العرب تشبه الدروع الرقيقة النسج لصفاتها,والسيوف بالغدران.فاذا امتلأ

<sup>1</sup> امرئ القيس ,ديوانه,ص57.

<sup>2</sup> ابو سعيد عبد الملك بن قريش,الاصمعيات,تحقيق الاستاذين عبد السلام هارون واحمد محمد شاکر,دار المعارف,د.ط,1955.ص 135 .

الغدِير، وضربته الرياح بدت فيه طرئق، وعندها تتضح الصورة في ذهن الشاعر وتتمثل صافية رقراقة، وقد استعمل شعراء شرقي الجزيرة العربية صورة الانهر المتدفقة في المدح لاطهار رفيض الممدوحين، قال النابغة بمدح النعمان بن المنذر ويعتذر اليه:

فَمَا الْفُرَاتُ إِذَا هَبَّ الرِّيحُ لَهُ      تَرْمِي أَوْدِيَهُ الْعَبْرَيْنِ بِالزَّيْدِ  
يَوْمًا ، بأجودَ مِنْهُ سَيَّبَ نَافِلَةً      وَلَا يَحُولُ عَطَاءُ الْيَوْمِ دُونَ غَدِ

ويمكننا ان نستدل ايضا على وفرة المياه في بعض المناطق من اشارات بعض الشعراء الى وجود العروض والطحلب الاخضر الذي يعلو الماء، وكان العرب في فجر تاريخهم البعيد ينظرون الى المياه نظرة تقديس لانها مورد الخصب والنماء وواهة البركة والخير فكانوا ينشدون الارجيز في اثناء حفر الابار، ونظم كل فريق منهم الارجيزالتي تثني على بئرهم، وتمتدح ماءه وقد تعيب ماء غيره من الابار ،حتى اننا نجد بينها ما يشبه النقائض المعروفة،فاكتفبنو سهم وبنو عدي بوصف ابارهم بغزارة الماء.

قال شاعرهم:

نَحْنُ حَفَرْنَا بِئْرَنَا الْحَفِيرَا      بَحْرًا يَجِيئُ مَأْوَهَا غَزِيرَا

ولعل الحرمان، ونذرة المياه، وجذب الارض، هو الذي جعلهم يببالغون في تقدير الخصب ويرون له رونقا خاصا في هذه البيئة الجرداء.فقدسوا مواطن الماء القديمة،واعتقدوا،فيها اسرارا غامضة.واضفوا عليها من القوى الخفية ما لم يصفوه على غيرها من الاماكن.

## 6/ البرق:

لقد شاع ذكر البرق في الشعر الجاهلي ، ودارت أسماؤها في احاديث الشعراء وهم يذكرون أيام لهوهم وصباهم يحنون إلى مرابع أحببتهم التي كانوا يتخذونها في أمثال هذه البرق ، فيقيمون عندها، وكان ذكرها يأتي من خلال أحاديث الشعراء عن الحوادث التي انترنت بها.

وبما تكون العوامل التي دعتهم إلى ذكرها هي نفس العوامل التي دفعت الشعراء إلى ذكر الدارات ولكن الذي يتميز في البرق أنها كانت في أغلب الأحيان تتخذ أماكن للإستقرار وإقامة القبائل، وأشهر هذه البرق، برقه تهمد التي اقتنع بها طرفة معلقته فقال:

لِحَوْلَةِ أَطْلَالٍ بِبُرْقَةٍ تَهْمَدِ، تَلُوحُ كَبَاقِي الْوَشْمِ فِي ظَاهِرِ الْيَدِ

وبرقة رحران ، قال لبيد يعد مفاخره <sup>1</sup>

إِنِّي امْرُؤٌ مَنَعْتَ أَرْوَمَةً عَامِرٍ ضَيْمِي، وَقَدْ جَنَفْتَ عَلَيَّ خُصُومُ

جَهَدُوا الْعِدَاوَةَ كُلَّهَا فَأَصَدَّهَا عَنِي مَنَاكِبُ عَزَّهَا مَعْلُومُ

مِنهَا حُويِّ وَالذَّهَابُ وَقَبْلُهُ يَوْمَ بَبْرُقَةٍ رَحْرَحَانَ كَرِيمُ

وبرقة حليت وبرقة خنزير ، وهناك برق كثيرة أخرى يمكن الرجوع إليها في دواوين الشعراء.

<sup>1</sup> د.م. محمد حسين ، ديوان الأعشى، القاهرة ، د،ط. 1950 . ص 57.

ثانيا: البيئة السياسية:

أ/ الحروب في الجاهلية :

1- حرب البسوس:

كان من حديث الحرب التي وقعت بين بكر وتغلب ابني وائل بن هنب بن افسى بن دعي بن جديلة بن اسد بن ربيعة بن نزار بن معد بن عدنان بسبب قتل كليب، ولقب بكليب لانه كان اذا سار اخذ معه جرو كلب، وكانت بنو حشم وبنو شيبان اخلاطا في دار واحدة ارادة الجماعة ومخافة الفرقة، وتزوج كليب جلييلة بنت مرة بن شيبان بن ثعلبة وهي اخت حساس بن مرة. وحمى كليب ارضا من العالية في اول الربيع وكان لا يقربها الا محارب، ثم ان رجلا يقال له :سعد بن شمس بن طوق الجرمي نزل بالبسوس<sup>1</sup> لبنت منقذ التميمية خالة حساس بن مرة وكان للجرمي ناقة اسمها سراب ترعى مع نوق حساس .وهي التي ضربت العرب بها المثل فقالت :أشأم من سراب وأشأم من البسوس، فخرج كليب يوما يتعهد الابل ومراعيها فأتاها وتردد فيها ،وكانت ابله وابل حساس مختلطة فنظر كليب الى سراب فانكرها، فقال له حساس وهو معه: هذه ناقة جارنا الجرمي، فقال :لاتعد هذه الناقة الى هذا الحمى. فقال حساس: لا ترعى ابلي مرعى الا وهذه معها.

فقال كليب: لئن عادت لأضعن سهمي في ضرعها. فقال حساس: لئن وضعت سهمك في ضرعها باضعن سنان رمحي في لبتك<sup>2</sup>.

ثم تفرق، وقال كليب لامراته: اترين في العرب رحلا مانعا مني جاره؟ قالت: لا اعلمه الا حساسا، فحدثها الحديث، وكان بعد ذلك اذا اراد الخروج الى الحمى منعتة وناشدته الله الا يقطع رحمه.

ثم ان كليبا خرج الى الحمى وجعل يتصفح الاليل، فرأى ناقة الجرمي فرمى ضرعها فانفده

<sup>1</sup> د.عفيف عبد الرحمان، الشعر وايام العرب في الشعر الجاهلي، دار الاندلس للنشر و التوزيع، بيروت، لبنان، ط1، 1984، ص 555\_556.

<sup>2</sup> اللبنة: موضع القلادة من العنق، في اسفل العنق من كل شئ.

فولت ولص عجيج حتي بركت بفناء صاحبها، فلما رأى ما بها صرخ بالذل، وفي يوم خرج كليب آمنا، فلما بعد عن البيوت ركب جساس فرسه واخذ رمحه وادرك كليباً فوقف كليب، فقال له جساس: يا كليب الرمح من وراءك. فقال ان كنت صادقاً فاقبل الي من امامي. ولم يلتفت اليه فطعنه فارداه عن فرسه، فقال: يا جساس اغتني بشرية ماء. فلم ياتيه بشيء، وقضى كليب نحبه.

وفي ذلك يقول مهلهل بن ربيعة اخو كليب<sup>1</sup>:

قَتِيلٌ مَا قَتِيلُ الْمَرِّ عَمْرٍو      وَجَسَّاسٍ بِنِ مَرَّةٍ ذِي صَرِيمِ  
أَصَابَ فُوَادَهُ بِأَصَمِّ لَدِنِ      فَلَمْ يَعْطِفْ هُنَاكَ عَلَى حَمِيمِ  
فَإِنَّ عَدَاً وَبَعْدَ عَدِّ لَوْهَنْ      لِأَمْرٍ مَا يُقَامُ لَهُ عَظِيمِ  
جَسِيمًا مَا بَكَيْتُ بِهِ كُليبًا      إِذَا ذَكَرَ الْفِعَالُ مِنَ الْجَسِيمِ  
سَأَشْرَبُ كَأَسْهًا صِرْفًا وَأَسْقِي      بِكَأْسٍ غَيْرِ مُنْطِقَةٍ مُلِيمِ

ثم انطلق الى المكان الذي قتل فيه كليب فرأى دمه واتى قبره فوقف عليه، ثم قال:

إن تحت التراب عزما وحزما      وخصيما ألد ذا مغلاق

واسل رجالا فاتو مرة بن ذهل وهو في قومه فقالوا له: انكم اتيتم عظيمًا بقتلكم كليبًا بناقة، وقطعتم الرحم، وانتهكتم الحرمه وانا نعرض عليك حلالا اربعا لكم فيها مخرج ولنا فيه مقنع:

اما ان تحي لنا كليبيا، او تدفع الينا قاتله جساسا فنقتله به او هماما فانه كفاء له، او تمكنا من نفسك فان فيك وفاء لدمه.

فقال لهم: اما احيائي كليبيا فلست قادرا عليه، واما دفعي جساسا اليكم فانه غلام طعن طعنة وركب فرسه فلا ادري اين بلاد قصد، واما همام فانه ابو عشرة واخو عشرة وعم عشرة كلهم فرسان قومهم فلن يسلموه بجريرة غيره، واما انا فما استعجل الموت ولكن لكم عندي مخرج

<sup>1</sup> ابراهيم شمس الدين، مجموع ايام العرب في الجاهلية والاسلام، دار الكتب العلمية، بيروت-لبنان، ط1، 2002، ص 25.

فاني ادفع اليكم الف ناقة سود الحدق حمر الوبر<sup>1</sup>.

فغضب القوم وقالوا: قد اسأت ببذل هؤلاء وتسومنا اللبن من دم كليب.

ونشبت الحرب بينهم والتقوا اول قتال كان بينهم في يوم عنيزة. والتقوا في عديد من الاماكن مثل: يوم الذنائب وهي اعظم وقعة لهم ويوم واردات فاقتتلوا قتالا شديدا، حيث دامت الحرب اربعين عاماً. وانتهت الحرب بعد ان ملت جموع ثعلب الحرب فصالحوا بكرةً ورجعوا الى بلادهم، وتركوا الفتنة.

## 2/ حرب داحس و الغبراء: بين عيس وذيبيان:

كان سبب ذلك ان قيسان زهير بن جذيمة العبسي سار إلى المدينة ليتجهز لقتال عامر و الأخذ بالثأر لأبيه، وكانت الحرب بينهما سجالا و انتهت بصلح، وداحا و الغبراء: اسما لفرسين بن زهير، وتشتمل هذه الحرب أيام المريقب ودى حساء و اليعمرية و الهباء و فروق وقطن.

فأتى أحيحة<sup>2</sup>، بن الجاح يشترى منه دراعا موصوفة، ففعل ذلك، وأخذ الدرع وكانت ذات الحواشي ، ووهبه أحيحة أدراعا أخرى ، وعاد غلى قومه، وقد فرغ من جهازه، ثم إن قيسا بن زهير أقام بمكة، فكان أهلها يفاخرونه ، وكان خخورا فقال لهم: نحو كعبتكم عنا وحرمكم وهاتوا ماشئتم، فقال له عبدالله بن جدعان: إذا لم نفاخر بالبيت المعمور وبالحرم الآمن فبم نفاخرك؟ فمل قيس مفاخرتهم وعزم على الرحله عنهم لأنهم قد كرهوا مفاخرته.

فقال لإخوته: ارحلوا بنا من عندهم أولاً وإلا تقاوم الشر بيننا وبينهم، والحقوا ببني بدر فإنهم أكفأؤنا في الحسب، وبنو عمنا في النسب، وأشرف قومنا في الكرم، وأجاره حذيفة بن بدر، وأخوه حمل بن بدر، فأقام فيهم ، وكان معه أفراس له وإخوته لم يكن في العرب مثلها ،

<sup>1</sup> محمد ابو الفضل ابراهيم ،إيام العرب في الجاهلية، المكتبة العصرية ،صيدا-لبنان، د.ط.ص 165.

<sup>2</sup> أحيحة: كان سيد الأوس في الجاهلية

وكان حذيفة يغدو ويروح إلى قيس ، فينظر إلى خيله ، فيحسده عليها ، ويكتم ذلك في نفسه. وقال هذه الأبيات:

ألا أبلغ بني بدرٍ رسولاً      على ما كان من شناً ووتر  
بأنّي لم أزل لكم صديقاً      أذافع عن فزارة كلّ أمر  
أسالم سلمكم وأردّ عنكم      فوارس أهل نجران وحجر  
وكان أبي ابن عمّكم زياد      صفّي أبيكم بدر بن عمرو

ثم ان حذيفة كره قيسا ، وأراد إخراجهم فلم يجد حجة، وفي أحد الأيام زار الورد العبسي حذيفة بن بدر فعرض عليه حذيفة خيلة، فقال: زار الورد العبسي حذيفة بن بدر فعرض عليه حذيفة خيله، فقال: ما أرى فيها جواداً مبرّاً فقال له حذيفة: فعند من الجواد المبر ؟ فقال: عند قيس بن زهير، فقال له : هل لك أن تراهنني عليه ؟ قال : نعم ، قد فعلت. فراهنه على ذكر من خيله وأنثى. ثم إن ورداً العبسي أتى قيس بن زهير وقال: إني قد راهنت على فرسين من خيلك ذكر وأنثى، ثم ركب قيس حتى أتى حذيفة فوقف عليه، فقال له حذيفة: ما غدا بك ؟ فقال: غدوت لأوضعك الرهان، ثم ضمروا الخيل ، فقادوا الخيل إلى الغابة وجعلوا السابق الذي يرد ذات الإصا، وأجرى قيس داحساً والغبراء، وحذيفة الخطار والحنفاء<sup>1</sup>.

الا ان حذيفة اقام رجلا من بني اسد في الطريق،وامره ان يلقي داحسا في الطريق فان جاء سابقا ردوا وجهه عن الغابة...ثم ركضا ساعة،فجعلت خيل حذيفة تسبق خيل قيس ،وبعد سقوط داحس بعد ان كاد يغرق هو وراكبه في الوادي تقدمت كل من الغبراء و الخطار،ثم سقطت الخنقاء،واخيرا جاءت الغبراء سابقة و تبعتها الخطار ثم جاءت داحس .وبعد ذلك اخبر الغلام قيسا بما صنع بفرسه،فانكر حذيفة ذلك وادعى السبق ظلما وقال جاء فرساي

<sup>1</sup> في اللسان : الحنفاء فرس حذيفة بن بدر، وهي أفت داحس لأبيه من ولد العقال و الغبراء خاله داحس و أخته لأبيه.

متتاليين وجاء الاسدي نادما على ضربه لداحس، واعترف لقيس بما صنع ،وبما امره به حديفة.

فرجع قيس و اصحابه الى حديفة وقال:يا قوم اعطونا حقنا.فابت بنوفزارة ان يعطوهم شيئا.وكان الخطر<sup>1</sup> عشرين من الابل،ثم ان حديفة لج في ظلمه،وارسل الى قيس ابنه ندية يطالبه بالسبق.فقال:يقول ابي:اعطني سبقي فتناول قيس الرمح فطعنه فدق صلبه.وعادت فرسه الى ابيه عائرة ونادى قيس:يا بني عبس،الرحيل فارحلوا كلكم.فتاهب حديفة وقومه للاخذ بالثار من قيس:اني قد قتلت ندبة فالحق بنا والا قتلت،فلم يجبه.فكان زهير اول من قتل من قيس.ولما علم الربيع بن زياد بمقتله جذع عليه فقال:

أينجو بنو بدر بمقتل مالكٍ ويخذلنا في النائبات ربيع

وكان زياداً قبله يتقى به من الدهر ان يوم المّ فطيع

ولما علم قيس يقول الربيع ركب هو واهله وقصدوا الربيع بن زياد<sup>2</sup>.

وبلغ حديفة ان الربيع وقيسا اتفقا،فشق ذلك عليه واستعد للبلاء،ثم تلاقت جموع بني ذبيان وعبس واقتتلوا قتالا شديدا وكانت الشوكة في ذبيان وقتل العديد واسر الربيع حديفة بن بدر وبقي اسيراً،واجتمت غطفان وسعوا في الصلح،واصطلحوا على ان يهدروا دم بدر بن حديفة بدم مالك بن زهير،ويعقلوا عوف بن بدر ويعطو حديفة عن ضربته التي ضربه حر مائتين من الابل واربعة اعبد،واهدر حديفة دماء من قتل من قومه ذبيان في الواقعة،واطلق من الاسر،وانتهت الحرب بعد ذلك بعقد صلح بين الطرفين.

<sup>1</sup> الخطر:السباق يتراهن عليه.

<sup>2</sup> ينظر،محمد ابو الفضل ابراهيم،ايام العرب في الجاهلية،ص250-266.

## ب/ أيام العرب الجاهلية:

## 1-يوم الذنائب :

وهي اعظم وقعة كانت بين بكر وتغلب، وقتلت بكر مقتلة عظيمة وقتل فيها شرا حيل بن مرة بن هام، وقتل الحارث بن شيبان وغيرهم من رؤساء بكر.

## 2-يوم جدود :

و هو يوم بين بكر بن وائل وبني منقر بن تميم، وكان من حديثه أن الحوفزان واسمه الحارث بن شريك الشيباني ، كانت بينه وبين بني سليط بن يربوع موادعه، فهم بالغدر بهم، وجمع بني شيبان وذهلا، ثم غزا وهو يرجوا أن يصيب غزة من بني يربوع، فلما انتهى نذر به عتيبة بن الحارث فنادى في قومه فحالوا بين الحوفزان وبين الماء وقال لعبته: إني لا أرى معك إلا رهطك، وأنا في طوائف من بني بكر فأن ظفرت بكم قل عددكم وطمع فيكم عدوكم، ولئن ظفرتم بي ما تقتلون إلا أقاصى عثرتي وما إياكم أردتف، فهل لكم ان تسالمونا وتأخذوا ما معنا من التمر، و والله لانروع يربوعا أبدا؟ فأجدا اما معهم من التمر و خلى سبيلهم ، فسافرت بكر حتى أغاروا على بني ربيع بن الحارث<sup>1</sup> وهو مقاعس بجدود - وإنما سمي مقاعسا لأنه تقعس عن حلف بني سعد - فأغار عليهم وهم خلوف فأصاب سببا و نعما ، فبعث بنو ربيع صريخهم إلى بني كليب فلم يجيبوهم فأتى الصريخ بني منقر فركبوا في المطلب فلاحقوا بكر بن وائل وهم مقاتلون فما شعر الحوفزان إلا و ابن سنان واقفا على رأسه. فركب فرسه ونادى يا أهل سعد ونادى الحفزان يا أهلى وائل ولحق بنو منقر و قاتلوا قتالا شديدا فهزمت بكر.

<sup>1</sup> ينظر ، محمد ابو الفضل ابراهيم، أيام العرب في الجاهلية ، ص 250.264.

### ثالثاً : البيئة الاجتماعية :

#### أ- طبقات المجتمع الجاهلي :

قلنا ان القبيلة كانت وحدة المجتمع البدوي الرئيسة،و كانت تتألف من ثلاث طبقات :

1/ **الاحرار** : و هم ابناء القبيلة العرب الذين تربط بينهم صلة الدم و الرحم و النسب ، و انهم عماد القبيلة ،عليهم يعول في الحرب و بهم يستعان في الملمات.

2/ **الموالي** : و هم الذين تعتقهم القبيلة بعد ان كانوا رقيقا و قد ينتمي الى الموالي خلع من قبيلة ما،يستجير من اخرى فتيجره فهو اليها.<sup>1</sup>

3/ **العبيد**: وهم الرقيق الذين استقدموا من البلاد أجنبية كالحبشة و سواها أو أسروا في الحرب و الغزو ، بالإضافة إلى طائفة أخرى هي : **الخلعاء** : اي الأفراد الذين تخلعهم القبيلة لسوء سيرتهم و يكون هذا الخلع علنا امام الناس وفي الأسواق و المجامع ، ومعنى الخلع التبرأ من الفرد ، فلا تدافع عن قبيلته، و الخلع أقصى عقوبة يمكن أن تلجأ اليها القبيلة ، ومن هؤلاء الخلعاء الشعراء الصعاليك الذين ذكرنا بعضهم و ربما كان صعاليك أصحاب كرم على فقرهم و قوة و عزيمة و سرعة عدو و قوة جسدية ، وقد عاشوا على قطع الطرق و ضاربين في الفياقي و مجاهل فأفرادها كانوا متضامنين كل التضامن ، يستقتلوا في الدون عن كرامة قبيلتهم و مصالحتها.

<sup>1</sup> ينظر، دزيرية سقال ، العرب في العصر الجاهلي، ص82-86.

## ب/ صورة المرأة ومكانتها في الشعر الجاهلي:

لقد كانت المرأة في الجاهلية ذات مكانة مهمة في المجتمع، فلم تكن نكرة ولا محتقرة، بل كانت لها حرية الإختيار ، وكانت رواية الخنساء تماضر بنت عمرو مع درير بن الصمة الفارس الشاعر مشهور توضح هذه الرواية كيف ان المرأة كان لها حق كبير في إتخاذ القرار ، كما كان للنساء كذلك دور في الحروب ، فقد اصطحب الرجال معهم في غزواتهم لكي يشددن عزائمهم بأناشيدهن.<sup>1</sup>

وكانت المرأة تحض على الثأر في الحروب ، وأكثر ما كان يغضبها قبول عشيرتها الجزية من قبيلة أخرى لترك الثأر، فالدم لا يغسله إلا الدم ، وقد قالت أم عمرو و بنت و قدان عندما أرادت عشيرتها قبول الجية في أخيها:

إن أنتم لم تطلبوا بأخيكم فذروا السلاح ووحشوا بالأبرق

وخذوا المكاحل والمجاسد والبسوا نقب النساء فبئس رهط المرهق

ولعل أكبر دلالة على مكانة المرأة في الجاهلية افتتاح الشعائر انذاك قصائدهم بالوقوف على الأطلال وذكر الأحبة، مع أن هذا الأمر صار متبعة فهو يدل على ما كان للأنتى من أهمية طورت هذه العادة ونمتها ، وكانت مادة ثريه للغزل، فقد وصف الشعراء لباسها و حليتها و طيوبها ، قال المنخل اليشكري يصف حبيبته:

ولقد دخلت على الفتاة الخدر في اليوم المطير

الكاعب الحسناء ترقل في الدمقس وفي الحرير

<sup>1</sup> دزيره سقال، العرب في العصر الجاهلي، ص 92، 96.

ووقف الشعراء على جمالها النفسي ، وقصيدة الشنقري في زوجته اميمة مشهورة ، حيث يظهر محاسنها زمحا مدها.

وهكذا نفهم كيف أن المرأة الجاهلية لم تكن مهملة ، وقد مكات الأموال ، زمارست التجارة وكانت لها الحرية جعلتها باروة في المجتمع الجاهلي.

# الفصل التطبيقي تجليات البيئة

## الجاهلية في شعر امرئ القيس.

أولاً: البيئة الطبيعية.

أ- الطبيعة المتحركة.

ب- مظاهر الطبيعة الصامتة.

ثانياً مظاهر البيئة الإجتماعية.

أ- المرأة.

## تجليات البيئة الجاهلية في شعرا مرئ القيس:

### أولاً: الطبيعة المتحركة:

#### 1/ الفرس:

لقد كان الفرس رفيق امرئ القيس في سرائه و ضرائه ، حيث اعتبره ثاني مرتبة ،  
بعد شدة و لعه بالنساء، فهو يتلذذ ويتفنن في وصف فرسه إذ يقول: <sup>1</sup>

قد أشهدُ الغارَةَ الشَّعْوَاءَ تَحْمِلُنِي      جَرْدَاءُ مَعْرُوقَةً اللَّحِيَّينِ سُرْحُوبُ

كَأَنَّ صَاحِبِهَا، إِذْ قَامَ يُلْجِمُهَا      مَعْدٌ عَلَى بَكْرَةٍ زَوْرَاءَ، مَنْصُوبُ

إِذَا تَبَصَّرَهَا الرَّأْوُونَ، مُقْبِلَةً      لَاحَتْ لَهُمْ عُرَّةٌ مِنْهَا، وَتَجِيْبُ

وَقَافُهَا ضَرِمٌ، وَجَرِيْهَا جَدِمٌ      وَلَحْمُهَا زِيْمٌ، وَالْبَطْنُ مَقْبُوبُ

وَالْيَدُ سَابِحَةٌ، وَالرَّجْلُ ضَارِحَةٌ      وَالْعَيْنُ قَادِحَةٌ، وَالْمَتْنُ مَلْحُوبُ

وَالْمَاءُ مُنْهَمِرٌ، وَالشَّدُّ مُنْحَدِرٌ      وَالْفُصْبُ مُضْطَمِرٌ، وَاللَّوْنُ غَرِيْبُ

كَأَنَّهَا حِينَ فَاضَ الْمَاءُ وَاحْتَفَلَتْ      صَفْعَاءُ، لَاحَ لَهَا فِي الْمَرْقَبِ الدَّيْبُ

فأمرئ القيس يصف فرسه على انها فرس بكر أي فتية، وهي قصيرة الشعر، و قليلة اللحم ، وطويلة و متناسبة الأعضاء ، وفي رأسها بياض، وهي فرس مسرعة، ويقول أيضا: <sup>2</sup>

مَكْرٌ مِفْرٌ مُقْبِلٌ مُدْبِرٌ مَعَاً      كَجَلْمُودٍ صَخْرٍ حَطَّةُ السَّيْلِ مِنْ عَلٍ

<sup>1</sup> امرئ القيس ، ديوانه ، ص 56.

<sup>2</sup> نفس المصدر ، 52.53.

كَمَيْتٍ يَزِلُّ اللَّبْدُ عَنْ حَالٍ مَتْنِهِ      كَمَا زَلَّتِ الصَّفْوَاءُ بِالْمُنْتَزَلِ  
 عَلَى الذَّبْلِ جَبَّاشٍ كَأَنَّ اهْتِزَامَهُ      إِذَا جَاشَ فِيهِ حَمِيهُ عَلَيَّ مِرْجَلِ  
 مَسْحٍ إِذَا مَا السَّابِحَاتُ عَلَى الْوَتَى      أَثْرَنَ الْغُبَارَ بِالْكَدِيدِ الْمُرْكَلِ  
 يُزِلُّ الْغَلَامَ الْخِفَّ عَنْ صَهْوَاتِهِ      وَيُلْوِي بِأَثْوَابِ الْعَنِيفِ الْمُثْقَلِ

يقول أن هذا الفرس مكر إذا أريد منه الكري العطف ، ومفر إذا أريد منه الفر ، ومقبل إذا أريد إقباله ومدبر إذا اريد منه إدباره، و الكر و الفر و الإقبال و الادبار مجتمعة في قوته لافي فعله لأن فيها تضادا،ثم شبهه في سرعة مره وصلابة خلقه بحجر عظيم القاه السيل من مكان عال الى حضيض.

والذبول هو ان تغلي فبه حرارة نشاطه على ذبول خلقه وضمير بطنه،وكأن تكسر صهيله في صدره غليان قدر ،جعله ذكي القلب،نشيطا في السير والعدو على ذبول خلقه وضمير بطنه،ثم شبه تكسر صهيله في صدره بغليان القدر.

ويرى الشاعر ان هذا الفرس يزل ويزلق الغلام الخفيف عن مقعده من ظهره،ويرمي بثياب الرجل العنيف الثقيل ،يريد ان يزلق عن ظهره من لم يكن جيدا لفروسية عالما بها ويرمي باثواب الماهر الحاذق في الفروسية لشدة عدوه وفرط مرحة في جرية،وانما عبر بصهواته ولايكون له الا صهوة واحدة.

2/الناقة :

كان امرؤ القيس يفتخر ويتباهى بناقته، ويصفها بادق التفاصيل، لأنها كانت وسيلة لتقله في مختلف الاماكن، التي لولاها لن يبلغ الى تلك الاماكن الابشق الانفس ، وهي اداة للتسلية، فتبث عن نفسه بواعث الالم والضيق ، وبها يقطع الصحراء المخيفة ، وهي مع كل ذلك لا تمل ولا تشكو، فالناقة هي البلسم الذي يشفي جروحهم، ويزيل لهب النار المتأجج من نفسه.

حيث قال في وصف ناقته:<sup>1</sup>

حي الحمولَ بجانب العزلِ      إذ لا يلائمُ شكلها شكلي

ماذا يشكُّ عليك من ظغن      إلا صباك وقلَّةُ العقلِ

مَنِّيَّتِنَا بَعْدَ، وَبَعْدَ غَدٍ،      حتى بخلت كأسوا البخلِ

يا رُبَّ غانِيَةٍ صرَمْتُ حِبَالَهَا      ومشيتُ متندِّاً على رسلي

لا أستقيدُ لمن دعا لصباً      قسراً، ولا أضطادُ بالخنلِ

وتتوفى حرداء مهلكةٍ      جاورتها بنجائبِ فنلِ

فَيَبِئْسَ يَنْهَسَنَّ الجُبُوبَ بها،      وأبيتُ مُرتَقِياً على رَحْلِ

\_\_ فناقة الشاعر ناقة ثقيلة متأطرة الرجلين، وهي قصيرة الشعر ، ويصعب عليها

الرحيل عنه

\_\_ وهي ناقة تتحمل مشاق السفر في الصحاري ، وهودجها مبنابة بيت للشاعر في

الليل .

<sup>1</sup> امرؤ القيس ،ديوانه،ص 151.

\_ وقال ايضا:

تظاهر فيها النبي لاهي بكرة ولاذات ضغن في الزمام قصوص

أؤوب نعوم لا يواكل نهزها إذا قيل سير المدلجين نصيص

\_ يصف امرؤ القيس هذه الناقة على انها بكرة اي فتية، وهي تتعب من النشاط وهي

مسرعة، وهي لاتعطي عندها من السير ال بعد عسر.

وقال ايضا:

كأني رحيل فوق احقب قارح بشرية أو طاو بعريان مجس

فهو يشبه ناقته بحمار الوحش المسن الشديد ن الذي يطوي البلاد نشاطا وقوة.

### 3/ الظباء :

كان امرؤ القيس يستذكر أيام لهوه و صباه ، فوجد في الظبي نمودحا محبوبا لتشبيه المرأة به، لأنها للجمال و رشاقة الأعضاء.

حيث يقول امرؤ القيس:<sup>1</sup>

تَرَى بَعَرَ الْأَرَامِ فِي عَرَصَاتِهَا وَقِيَعَانِهَا كَأَنَّهُ حَبُّ فُلْفُلٍ

فالأرام هي الظباء البيض الخاصة البياض، حيث يقول انظر بعينيك تر هذه الديار التي كانت ماهولة بأهلها مأنوسة بهم، خصبة الأرض ، كيف غادرها أهلها وأقبرت من بعدهم

<sup>1</sup> الطبيعة في الشعر الجاهلي، ص 143.

أرضها وسكنت رملها الظباء ونثرت في ساحاتها بعرها حتى تراه كأنه حب الفلفل في مستوى رحبتها.

#### 4/ النعام:

لقد احتل النعام مكانا واسعا في الأدب الجاهلي بصفة عامة، وفي شعر امرؤ القيس بصفة خاصة ، لأنه كان من الشعراء الذين كانوا يستقصون في أوصافه، ويقضون عند عاداته.

قال امرؤ القيس:<sup>1</sup>

كأني ورحلي والقراب ونمرقي	إذا شبّ للمرو الصغار وبيصُ
على نَقْنِقٍ هَيْقٍ لَهُ وَلِعْرَسِهِ	بمُنْعَرَجِ الوَعَسَاءِ بَيْضُ رَصِيصُ
إذا راحَ لِالأُدْحِيِّ أَوْباً يَفْنُهَا	تُحَاذِرُ مِنْ إِدْرَاكِهِ وَتَحِيصُ

فالشاعر شبه جناحيه وهو يحتضن البيض بالحباء.

<sup>1</sup> المرجع نفسه، ص 153.

## ثانيا: البيئة الصامتة:

## 1/ الليل:

لقد أثرت الليالي الحلكة في مشاعر امرؤ القيس ، حيث كانت مع الليالي مغامرات مع محبوباته، وطولها جعلته يكتب و يفرغ كل مافي قلبه من مشاعر و أحاسيس.

إذ يقول امرؤ القيس: <sup>1</sup>

وَلَيْلٍ كَمَوْجِ الْبَحْرِ أَرْخَى سُدُولَهُ      عَلَيَّ بِأَنْوَاعِ الْهُمُومِ لِيَبْتَلِي

فَقُلْتُ لَهُ لَمَّا تَمَطَّى بِصُلْبِهِ      وَأَزْدَفَ أَعْجَازًا وَنَاءَ بِكُلِّكَ

أَلَا أَيُّهَا اللَّيْلُ الطَّوِيلُ أَلَا انْجَلِي      بِصُبْحٍ، وَمَا الْإِصْبَاحُ مِنْكَ بِأَمْتَلٍ

فَيَا لَكَ مَنْ لَيْلٍ كَأَنَّ نُجُومَهُ      بِكُلِّ مُغَارِ الْفَتْلِ شُدَّتْ بِيذْبَلِ

شبه ظلام الليل في طوله وصعوبته ونكارة أمره بأموج البحر، ورب ليل يحاكي أمواج البحر في توحشه، ونكارة أمره وقد ارخى على ستور ظلامه مع أنواع الاحزان، أو مع فنون الهم، ليختبر الشاعر إذا كان قد يصبر على ضروب الشدائد وفنون النوائب أم يجزع منها.

وناء بكلكل يعني أبعد صدره ، أو بعد العهد بأوله ، حيث أن هذا الليل أفرط طوله وناءت أوائله وزدادت اواخره تطاولا، وطول الليل ينبئ عن مقاساة الاحزان والشدائد و المتولد منها ، لأن المغموم يستطيل ليله، و المسرور يستقصر ليله.

والأهراس هو الحبل، حيث أن الشاعر تعجب من الليل، زكأن نجومه شدت بحبال من الكتان غلى صخور صلاب ، وذلك أنه استطال الليل فيقول أن نجومه لاتزول من أماكنها

<sup>1</sup> امرؤ القيس، ديوانه، ص 48.49.

ولا تغرب ، فكأنها مشدودة بحبال إلى صخور صلبة، وإنما استصال الليل لمعاناته، الهموم، مقاساته الأحزان فيه.

## 2/ الوادي :

لقد برع امرؤ القيس في وصف الوادي ، لأنه كان جد متعلق ببيئته، ولا تخفى عنه صغيرة و لاكبيرة إلا وقال فيها شعرا.

يصف واديا قائلا: <sup>1</sup>

عيناك دمعها سجال	كأن شأنيهما أوشال
أو جدول في ظلال نخل	للماء من تحته مجال
من آل ليلي وأين ليلي	وخير ما رمت ما ينال
قد أقطع الأرض وهي قفر	وصاحبي بازل شمال
ناعمة نائم أبجلها	كأن حاركها أثال

فهذا الوادي واعر غزير، فهو كالعرق الذي تجري منه الدموع، فهو كثير الدمع أي السيلان، فماؤه لاينقطع.

وقال في الوادي: <sup>2</sup>

وواد كجوف العير قفر قطعته به الذئب يعوي كالخليع المعيل

<sup>1</sup> نفس المصدر، ص 159.

<sup>2</sup> امرؤ القيس، ديوانه، ص 50.

شبه الوادي في خلائه من الإنس ببطن العير، و الحمار الوحشي إذا خلا من العلف وقيل بل شبهه في قلة الننتفاع به بخوف العير لأنه لايركب ولايكون له در، وزعم صنف منهم أراد كجوف الحمار فغير اللفظ الى ماوافقه في المعنى لاقامة الوزن.

### 3/ الجبال :

لقد أثار الجبال أحاسيس عميقة، في نفسية الشاعر امرؤ القيس ، ومست كيمانه ، فعمد إلى توظيفها في العديد من أشعاره، وجعلها رمز القوة و الصمود.

قال امرؤ القيس: <sup>1</sup>

جالت لتصرعني فقلتُ لها اقصري      إني امرءٌ صرعي عليك حرام

فجزيتَ خيرَ جزاءِ ناقةٍ واحدٍ      ورجعتِ سالمَةً القَرَا بِسَلامِ

وكانما بدرٌ وصيلٌ كتيفةٍ      وكأئماً من عاقلٍ أرمامٍ

فارؤ القيس يفتخر بنفسه، لأنه سبق أصحابه ولم يكسل بفضل قوته و صبره وصعوده قمة الجبل التي تشبه سنان الرمح لدقتها و طولها.

<sup>1</sup> نفس المصدر، ص163، 164.

4/ البرق:

لقد شاع ذكر البرق في الشعر الجاهلي ، ودارت اسمائها في أحاديث الشعراء، من بينهم امرؤ القيس.

قال امرؤ القيس :<sup>1</sup>

أَصَاحِ تَرَى بَرْقًا أُرِيكَ وَمِیْضَهُ      كَلَمَعِ الْيَدَيْنِ فِي حَبِيٍّ مُكَلَّلِ  
يُضِيءُ سَنَاهُ أَوْ مَصَابِيحُ رَاهِبٍ      أَمَالَ السَّلِيْطَ بِالذُّبَالِ الْمُفْتَلِ  
قَعَدْتُ لَهُ وَصُحْبَتِي بَيْنَ ضَارِحٍ      وَبَيْنَ الْعَذِيبِ بُعْدَمَا مُتَّأَمَلِ  
عَلَى قَطَنِ بِالشَّيْمِ أَيْمَنُ صَوْبِهِ      وَأَيْسَرُهُ عَلَى السَّتَارِ فَيَذُبَلِ  
فَأَضْحَى يَسُحُ الْمَاءَ حَوْلَ كُتَيْفَةٍ      يَكُبُّ عَلَى الْأَنْقَانِ دَوْحَ الْكَنْهَبَلِ

فالشاعر يصف البرق و يثف وميضعه ، وسرعته انتشاره، وتفجيره السحب ،ثم يصرف انهماز السيول، و جرفها الشجر ، وذعر الحيوان ، ويصف الجبل الذي تكفنه مياه السيل وازدهار النبات.

5/ المطر :

حياة الجاهلي شديدة الإرتباط بالمطر، حتى سعوه غيثا، وكانوا يفرحون لريته فرحا عظيما ، وهذا ما أدى بامرؤ القيس إلى الوقوف الطويل عند السحاب.

يصف المطر فيقول:<sup>2</sup>

<sup>1</sup> ديوان امرؤ القيس ، عناية عبد الرحمان المصطاوي ، ص 81 ، 82.

<sup>2</sup> نفس المصدر، ص 17، 18.

سقي واردات والقليب ولعلعا  
 ملق سماك فهضبة ايها  
 فمر علي الجنتين خبتي عنيزة  
 فذات النقاغ فانتهي وتصوبا  
 ملما تولي من أعالي طمية  
 أنسبت به ريح الصباء فتحلبا  
 فيصف الشاعر هذا المطر على أنه مطر يدوم لأيام طويلة.

البيئة السياسية:

### 1/ الحروب:

كانت بيئة الجاهلية بيئة حروب ونزاع، يثور هذا النزاع وتقوم هذه الحروب لأتفه الأسباب، ولقد شارك امرؤ القيس في العديد من الحروب ، فكان فارسا شجاعا وشهما ، فيصف الحرب قائلا: <sup>1</sup>

الحرب أول ما تكون فتية  
 تسعى بزینتها لكل جهول  
 حتى إذا استعرت وشب ضرامها  
 عادت عجوزا غير ذات خليل  
 شمطاء جزت رأسها وتكرت  
 مكروهة للشم والتقبيل

فهو يصف الحرب بأنها في البداية جميلة ، لكنها سرعان ماتتحول إلى عجوزا شمطاء، أي قبيحة ، فالعين لاتتحمل ما تراه من هول وفزع ، فتصح مكروهة للشم و التقبيل .

وقال بعد ظفرة ببني أسد:

يَا دَارَ مَآوِيَةٍ بِالْحَائِلِ  
 فَالسَّهْبِ فَالْخَبْتَيْنِ مِنْ عَاقِلِ  
 صَمَّ صَدَاهَا وَعَعَفَا رَسْمُهَا  
 واسعجت عن منطق السائل

<sup>1</sup> امرؤ القيس، ديوانه، ص 161.

قولا لدودانَ عبيد العِصا  
ما غركم بالاسد الباسل  
قد قرتِ العينانِ من مالكِ  
ومن بني عمرو ومن كاهل  
ومن بني غنم بن دودانِ إذ  
نظعنهم سُلكي وملوجةً  
لفتكَ لأمينِ على نابل  
إذْ هُنَّ أقساطُ كَرَجِلِ الدَّبِي  
أو كقطا كاظمةَ الناهلِ

## صورة المرأة في شعر امرؤ القيس:

لقد صور امرؤ القيس المرأة في أحسن صورة ، فقد صور بذلك مشهدا أو مشاهد عدة وهو يصف حبيبته وصفا غزليا، كان خير مقدمة لغزل عمر بن أبي ربيعة، وقد تجاوز إليها أحراسا ومشعرا يضمرون له الشر، وقص لما كيف وصل إليها ، وذكر الحوار الذي دار بينه وبينها ، وراح يعدد أوصافها وإذا هي لطيفة الخصر ، ضامرة البطن، تلتمع ترائبها التماع المرأة المصقولة ، وهي بيضاء تشوب بياضها صفرة وقد غذاها ماء عذب صاف، وهي في ذلك أشبه درة فريدة في قعر الماء لاتصل إليها الايدي ، أما خدها فأسيل، وأما عينها فأشبهه بعيون طباء وجرّة أو مهاها اللواتي لهن أطفال و الفرع منها أسود فاحم طويل يشبه قنو النحلة المتعتكل.<sup>1</sup>

وهكذا يمضي الشاعر في وصف مستعرضا الأشكال و الألوان متعمدا على التشبيه الحسي المادي، الذي يظهر فيه لكل شيء شيء يشبهه، وهو عمله أشبه بالنحاب الذي يقيم لحبيبته تمثالا من مرمر، فيعالجه بالإزميل ضربة هنا و ضربة هناك في غير التوام و لاتقيد، وهكذا كان المشهد مشهد رثف اوصاف ، وإقامة مقارنات في نزعة بدائية حلوة ، وفي مادية سطحية ملموسة.

وقد تضمنت معلقة امرؤ القيس أكبر قسم منها يتحدث عن الغزل الصريح ووصف محاسن المرأة وعدد أبياته سبعة ثلاثون بيتا ، أوله قوله:<sup>2</sup>

وَبَيْضَةَ خِذْرِ لَا يُرَامُ خِبَاؤُهَا تَمَتَّعْتُ مِنْ لَهْوِ بِهَا غَيْرَ مُعْجَلٍ

وفي هذا القسم يذكر أسماء محبوباته ، فهو يعاتب (فاطمة) المدللة ذات النظرات السواحر ويتحدث عم امرأة مخدرة يكنف خبائها الحراس من كلّ جانب، غير أن الشاعر استطاع أن

<sup>1</sup> الجامع في تاريخ الأدب الجاهلي، ص 181 ، 182.

<sup>2</sup> ديوان امرؤ القيس، ص 16.

يخادع الرقيب، ويغشى صاحبه آخر الليل، وأن يخرجها من مخدعها، وفي هذا القسم وصف حسي للمرأة يكشف عن ذوق الشاعر المرهف، إذا يذكر ضмор الخصر والبطن، وامتلأ الساق، وصفاء البشرة، وبريق الترائب، وسحرة المقلة، وغزارة الشعر، . ولين البنان، واكتمال الجمال، ووفرة النعم وينتهي هذا القسم عند قوله،

أَلَا رَبِّ حَصْمٍ فِيكَ أَلْوَى رَدَدْتُهُ ... نَصِيحٍ عَلَى تَعْدَالِهِ غَيْرِ مُؤْتَلِّ

يقول امرؤ القيس<sup>1</sup>:

أَفَاطِمَ مَهَلًا بَعْضَ هَذَا التَّدَلُّ  
وَأَنْكَ مَهْمَا تَأْمُرِي الْقَبَّ يَفْعَلِ  
وَأَنْكَ مَهْمَا تَأْمُرِي الْقَبَّ يَفْعَلِ  
وَأَنْكَ مَهْمَا تَأْمُرِي الْقَبَّ يَفْعَلِ  
وَأَنْكَ مَهْمَا تَأْمُرِي الْقَبَّ يَفْعَلِ  
وَأَنْكَ مَهْمَا تَأْمُرِي الْقَبَّ يَفْعَلِ  
وَأَنْكَ مَهْمَا تَأْمُرِي الْقَبَّ يَفْعَلِ  
وَأَنْكَ مَهْمَا تَأْمُرِي الْقَبَّ يَفْعَلِ  
وَأَنْكَ مَهْمَا تَأْمُرِي الْقَبَّ يَفْعَلِ  
وَأَنْكَ مَهْمَا تَأْمُرِي الْقَبَّ يَفْعَلِ

حيث يقول امرؤ القيس : يافطمة دعي بعض دلالك وإن كنت وطنت نفسك على فراقى فأجملي الهجران.

قد غرك منى كون حبك قاتلى منقدا لك بحيث مهما أمرته بشيء فعله.

من الناس من جعل الثياب في هذا البيت بمعنى القلب، فالشاعر كنى بتباين الثياب وتباعدها عن تباعدهما، وقال إن ساءك شيء من أخلاقي فاستخرجي ثيابي من ثيابك ، اي ففارقيني وصارميني كما تحبين، فاني لا أؤثر إلا ما اثارته و لا أختار إلا ما اخترت لا نقيادي لك وميلي إليك، فاذا اثارته فراقى اثارته و إن كان سبب هلاكي و جالب موتي ، و

<sup>1</sup> امرؤ القيس، ديوانه، ص 37.

الشاعر استعار للحظ عينيها ودمعها و دمعها اسم السهم لتأثيرهما في القلوب وجرحهما إياها كما ان السهام تجرح الأجسام وتؤثر فيها ومايكيت الإلتمكي قلبي كله وتقوزي بجميع أعضاره.

وفي وصفه للمرأة غد أيضا قوله:<sup>1</sup>

مفهفة بيضاء غير مفاضة	ترائبها مصقولة كالسجنجل
كبكرة المقاناة البياض بصفرة	غذاها نمير الماء غير المحلل
تصد وتبدي عن أسيل وتتقي	بناظرة من وحش وجرة مطفل

يفصف هذه المرأة على أنها امرأة دقيقة الحصر ضامرة البطن، غير عظيمة البطن ، ولامسترخية وصدورها بارق متلألئ الصفاء كتلاؤ المرأة، وهذه العشيقة بيضاء يشوب بياضها صفرة وقد غذاها ماء نمير عذب صاف ، و البياض الذي شابته صفرة أحسن ألوان النساء عند العرب.

حيث أن هذه العشيقة تعرض العشيقة تعرض عنهم فتظهر في إعراضها خذا أسيلا وتستقبلهم بعين من عيون ظباء وجوة أو مهاها اللواتي لها اطفال ، وخصهن لنظرهن إلى أولادهن بالعطف و الشفقة، وهي أحسن عيونا في الك الحال منهن في سائر الأحوال.

و من أيته في المرأة فيقول:

لو أبصرت رهبان دير في الجبل لانحدر الرهبان يسعى ويصل

<sup>1</sup> نفس المصدر ، ص 42، 43.

فهذه العشيفة تضيء بنور وجهها ظلام الليل فكأنها مصباح راهب منقطع عن الناس ، و  
خص مصباح الراهب لأنه يوقده ليتدي به عند الضلال ، فهو يضيء أشد الاضاءة، يريد  
أن نوروجها يغلب ظلام الليل كما أن نور مصباح الراهب يغلبه.

خاتمه

## خاتمة:

من خلال هذا البحث يمكن إستخلاص النقاط التالية:

\_ تجلت البيئة الطبيعية في شعرامرو القيس من خلال ورود عناصرها المتحركة و الصامته بكثرة في اشعاره التي تؤكد ان مخيال الشاعر ارتبط ارتباطا وثيقا بهذه العناصر.

\_ مثل شعر امرؤ القيس صورة واضحة عن البيئة السياسية، ففي كثير من اشعاره عكست الحروب و الوقائع و ايام الحروب و لاسيما حروبه و ايامه مع نبي أسد.

\_ انعكست في قصائد امرؤ القيس طبقات المجتمع الجاهلي، فشعره في مجالس اللهو و الطرب و مغامراته مع النساء حملت مضامين تدل على أنه من طبقة ارسنقراطية في البيئة الاجتماعية الجاهلية.

\_ كشفت أشعار امرؤ القيس ان المرأة كانت سبيلا سهلا للإنسان الجاهلي فصورتها الحسية المزعومة في أشعاره و مغامراته الكثيرة معهن لا تدل على ذلك التحفظ الشديد الذي نقرأه في الكتب التي تناولت هذا الجانب، ومن هنا يمكن القول ان بيئة امرؤ القيس في هذا الجانب بيئة خاصة.

\_ وإذا كان هذا البحث قد تناول اثر البيئة في شعر امرؤ القيس بصفة عامة فإنه يمكن تناوله بتخصيص بيئته محددة بدراسة خاصة و استقصاء عناصرها استقصاء دقيقا.

# قائمة المصادر و المراجع

## قائمة المصادر و المراجع:

1. امرؤ القيس ، ديوان امرؤ القيس، دار صادر لبنان.
2. حنا الفانوري، الجامع في التاريخ الأدب العلابي، دار الجيل ، لبنان، ج1. ط1. 1986.
3. عمر فروخ، تاريخ الأدب العربي، دار العلم للملايين ، بيروت، ج1 . ط4 . 1981.
4. أحمد حسين الزيات، تاريخ الأدب العربي ، دار النهضة، القاهرة، د ط ، د ت.
5. شوقي ضيف ، العصر الجاهلي ، دار المعارف القاهرة د ط ، دت.
6. دزيريه سقال ، العرب في العصر الجاهلي، دار الصداقة العربية ، بيروت ، ط1 ، 1995.
7. دنوري حمودي القيسي، الطبيعة في الشعر الجاهلي، جامعة بغداد للنشر، بيروت، ط1، 1970.
8. عبد المنعم خفاجي، الحياة الأدبية في العصر الجاهلي ، دار الجيل ، لبنان ، ط1 . 1992.
9. غازي طليمات، الأدب الجاهلي، دار الاشاد، حمص ، ط1، 1981.
10. مجموعة قراعة، أدب العرب في الشعر الجاهلي ، دار الملوك ، مصر ، دط، دت.
11. امرؤ القيس، ديوانه، شرح عبد الرحمان المصطاوي ، دار المعرفة، بيروت ، ص2، 2004.
12. أبي علي الحسن بن رشيق، العمدة، دار الجيل، لبنان، ط5، 1981.
13. طه حسين، الأدب الجاهلي، دار قارون، القاهرة ، ط3 ، 1933.

14. جرجي زيدان ، تاريخ اداب اللغة العربية ، دار الهلال، القاهرة، دط ، دت.
15. طرفة ابن العبد، ديوان طرفة، تحقيق د ، على الجندي، دار الرسالة، مصر، دط.
16. زهير بن أبي يلمى ، الديوان، تحقيق الأستاذ مصطفى السقا، دار الكتب، دط.
17. المفضل بن محمد، المفضليات، تحقيق الأستاذين ، أحمد محمد شاكر، وعبد السلام هارون، دار المعارف، د ط ، د ت.
18. سليم الجندي، عمدة الأديب، امرؤ القيس مكتب النشر العربي، دمشق ، دط، دت ، ص 40.
19. أحمد حسن الزيات في أصول الأدب ، محاضرات و مقالات في الأدب العربي، دار النهضة، مصر.
20. عبد الرحمان المصطاوي، شرح لديوان امرؤ القيس ،دار المعرفة، بيروت ط2، 2004، ص10.
21. دونيس، الثابت و المحتل، دار العودة، ط 1، 1974، ج1، ص 35.
22. أحمد الشايب، تاريخ الشعر السياسي إلى منتصف القرن الثاني، دار النهضة المصرية، ط5، 1949، ص 4 - 41.
23. ابن عبد ربه، العقد الفريد، لجنة التأليف و الترجمة، القاهرة ، د ط ، 1949، ج5، ص 277.
24. عباس بيومي عجلان، الهجاء الجاهلي، صورة وأساليبه الفنية، دار المعارف، د ط ، 1982، ص133.
25. د. حسني عبد الجليل يوسف، الأدب الجاهلي، قضايا وفنون و نصوص، مؤسسة المختار للنشر و التوزيع، القاهرة ط1، 2001، ص 201.

# فهرس الموضوعات

## فهرس الموضوعات:

الصفحة	المحتوى
2-1	مقدمة
8-4	مدخل
	الفصل الأول
12-10	I/ الشعر الجاهلي.
14-12	اولا: فترة الجاهلية.
17-14	ثانيا: نشأة الشعر الجاهلي.
29-18	ثالثا: خصائص واغراض الشعر الجاهلي.
	II/ البيئة الجاهلية.
31-30	اولا: التحديد الجغرافي.
30	ثانيا: الخصائص الجغرافية للبيئة الجاهلية.
32-31	III/ علاقة الشاعر بالبيئة.
34-32	IV/ مكانة الشعر والشعراء في المجتمع.
	الفصل الثاني
	الفصل النظري: انواع البيئة الجاهلية
41-37	اولا: البيئة الطبيعية.
53-37	أ-الطبيعة المتحركة.
41-37	ب-الطبيعة الصامتة.
52-41	ثانيا:-البيئة السياسية.
47-41	أ-الحروب.
52-48	ب-ايام العرب.
53	ثالثا- البيئة الاجتماعية.
55-54	أ-طبقات المجتمع الجاهلي.
54	ب-صورة المرأة في الشعر الجاهلي.
55	

	الفصل الثالث: الفصل التطبيقي تجليات البيئة الجاهلية في شعر امرئ القيس.
68-58	أولاً: البيئة الطبيعية.
62-58	أ-الطبيعة المتحركة.
68-63	ب-مظاهر الطبيعة الصامة.
	ثانياً مظاهر البيئة الإجتماعية.
72-69	أ-المرأة.
75-74	خاتمة
78-77	قائمة المصادر و المراجع
81-80	فهرس الموضوعات